جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

القراءات القرآنية وموقف ابن قتيبة منها من خلال كتابه (تأويل مشكل القرآن)

إعداد

د/ رضا عبد الجيد السيد فرج عزام
مدرس اللغويات في كلية اللغة العربية بالزقازيق جامعة الأزهر

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

القراءات القرآنية وموقف ابن قتيبة منها من خلال كتابه (تأويل مشكل القرآن).

رضا عبد الجيد السيد فرج عزام.
قسم اللغويات، كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: redafarag.25@azhar.edu.eg

الملخص:

يدور هذا البحث حول موضوع من أهم الموضوعات؛ فالقرآن الكريم وقراءاته المصدر الأول من مصادر السماع، فيجب الرجوع إليه والاحتكام به في الدرس النحوي. وقد تناولته دراسات عديدة تفسيرًا لمعانيه، وتوجيهًا لقراءاته، وتأويلًا لمشكله، إلى غير ذلك من الدراسات القرآنية، ومن هؤلاء العلماء الذين أولوا القرآن الكريم وقراءاته عناية كبيرة ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– فمن مصنفاته: كتاب تأويل مشكل القرآن الكريم، وقد حاول من خلاله الدفاع عن القرآن الكريم وقراءاته. واختلاف موقفه حول القراءات القرآنية يمثل ظاهرة تستحق الدرس والبحث. فقد تنوعت مواقفه حول القراءات القرآنية، فجاء عنوان البحث: القراءات القرآنية وموقف ابن قتيبة منها من خلال كتابه تأويل مشكل القرآن، وقد انتظم البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة. أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث ومنهجه. وأما الفصل الأول: فعنوانه: ابن قتيبة وموقفه من القراءات القرآنية، وقد اشتمل على مبحثين: المبحث الأول: وعنوانه: ترجمة موجزة لابن قتيبة. وأما المبحث الثاني: فعنوانه: موقف ابن قتيبة من القراءات القرآنية من خلال كتابه: تأويل مشكل القرآن. وأما الفصل الثاني: فعنوانه: توجيهات القراءات القرآنية الواردة في كتاب تأويل مشكل القرآن، وقد اشتمل على تمهيد ثم توجيه للقراءات القرآنية مرتبة حسب المصحف الشريف. وأما الخاتمة فقد اشتملت على أهم النتائج التي ظهرت من خلال البحث. هذا. وقد اتبعت في دراسة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، السماع، الدرس النحوي.

Quranic Readings and Ibn Qutaybah's Position on Them, Based on His Book (Interpretation of the Problematics of the Quran).

Reda Abdel-Gaid El-Sayed Farag Azzam.
Department of Linguistics, Faculty of Arabic Language, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt.
Email: redafarag.25@azhar.edu.eg

Abstract:
This research addresses one of the most significant topics in Qur'anic studies. The Qur'an and its various readings represent the primary source of transmitted linguistic authority ،and as such ،they must be referred to and relied upon in grammatical and linguistic inquiry. Numerous studies have approached the Qur'an from various angles—interpreting its meanings ،analyzing its variant readings, addressing its perceived ambiguities ،and other related fields within Qur'anic sciences,

Among the scholars who devoted substantial attention to the Qur'an and its readings was Ibn Qutaybah (may Allah have mercy on him). One of his notable works is Taʾwīl Mushkil al-Qurʾān (The Interpretation of the Problematic Verses of the Qur'an), through which he sought to defend the Qur'an and its various canonical readings. His diverse positions on the Qur'anic readings constitute a phenomenon worthy of careful investigation and scholarly analysis. These varying stances serve as the core subject of this research ،which is entitled" :Qur'anic Readings and Ibn Qutaybah's Stance on Them in His Book Taʾwīl Mushkil al-Qurʾān". The research is organized into an introduction ،two chapters ،and a conclusion: The introduction presents the significance of the topic ،the reasons for selecting it ،the research methodology ،and the general outline. Chapter One ،titled Ibn Qutaybah and His Stance on Qur'anic Readings ،is divided into two sections: Section One: A brief biographical sketch of Ibn Qutaybah. Section Two: An examination of his position on the Qur'anic readings as reflected in Taʾwīl Mushkil al-Qurʾān. Chapter Two ،titled Analytical Commentary on the Qur'anic Readings in Ibn Qutaybah's Taʾwīl Mushkil al-Qurʾān ،opens with a general introduction ،followed by a discussion of the various readings in the order of their appearance in the Qur'anic text. The conclusion outlines the most significant findings and insights derived from the study. The research adopts a descriptive ،analytical ،and critical methodology in its approach.

Keywords: Qur'anic readings, Ibn Qutaybah, Taʾwīl Mushkil al-Qurʾān, Listening, Grammar lesson.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد .

فالقرآن الكريم وقراءاته المصدر الأول من مصادر السماع، ومن ثم يجب الرجوع إليه، والاحتكام به في الدرس النحوي.

وقد تناولته دراسات عديدة تفسيرًا لمعانيه، وبيانًا لغريبه ، وتوجيهًا لقراءاته، وتأويلًا لمشكله، إلى غير ذلك من الدراسات القرآنية.

ومن هؤلاء العلماء الذين أَوْلَوا القرآن الكريم وقراءاته عناية كبيرة، ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– فقد صنف أكثر من كتاب حول القرآن الكريم، من ذلك كتابه القيم تأويل مشكل القرآن. وقد حاول من خلاله الدفاع عن القرآن الكريم وقراءاته. واختلاف موقفه حول القراءات القرآنية يمثل ظاهرة في الكتاب تستحق الدرس والبحث.

فقد تنوعت مواقفه حول القراءات القرآنية، فقد دافع عن بعض القراءات ووجَّه بعضها ، وانتقد بعضها، وهاجم بعض القراء. واعتراضه على بعض القراءات لم يكن الدافع له الهجوم على القرآن الكريم ، بل كان زيادة الحرص على القرآن الكريم.

وكذلك كان الدافع لهؤلاء العلماء – بصريين أو كوفيين أو غيرهم – الذين اعترضوا على بعض القراءات أو ضعفوا بعض القراء ، ولكن فات هؤلاء أمر مهم وهو التثبت من صحة القراءة ، فما صح سنده لا يمكن بأي حال من الأحوال رده أو تضعيفه ، بل يجب الاحتكام به ، والرجوع إليه ، فإن وافقت القراءة الكثير فَيُقاس عليها ، وإلا فهي فصيحة ولا يُقاس عليها .

هذا .وجاء هذا البحث بعنوان: القراءات القرآنية وموقف ابن قتيبة منها من خلال كتابه تأويل مشكل القرآن .

ولاختيار هذا البحث عدة أسباب، منها:

أولًا : خدمة كتاب الله –تعالى –.

ثانيًا : الدفاع عن القراءات القرآنية، وبيان صحتها سندًا، وتوجيهًا .

ثالثًا: أن هذا البحث يبين رؤية ابن قتيبة حول القراءات القرآنية، مما يمثل عوضًا عن كتابة المفقود : كتاب القراءات .

رابعًا : الدفاع عن ابن قتيبة ، حيث هاجمه بعض المحدثين – وقد جانبه الصواب في كثير من هجومه– .

هذا. وقد انتظم البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث ومنهجه.

وأما الفصل الأول : فعنوانه: ابن قتيبة وموقفه من القراءات القرآنية، وقد اشتمل على مبحثين: المبحث الأول: وعنوانه : ترجمة موجزة لابن قتيبة، واشتمل على:

- اسمه ونسبه .– تلاميذه .
- مولده . – مكانته العلمية
- شيوخه .– وفاته .
- مصنفاته .

وأما المبحث الثاني: فعنوانه: موقف ابن قتيبة من القراءات القرآنية من خلال كتابه : تأويل مشكل القرآن.

وأما الفصل الثاني : فعنوانه: توجيهات القراءات القرآنية الواردة في كتاب تأويل مشكل القرآن .

وقد اشتمل على تمهيد ثم توجيه القراءات القرآنية مرتبة حسب المصحف الشريف.

وأما الخاتمة فقد اشتملت على أهم النتائج التي ظهرت من خلال البحث.

هذا. وقد اتبعت في دراسة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي .

وبعد . فإن وفقت في هذا البحث فالفضل والمنة لله – تعالى – ، وإن كانت الأخرى فأسأل الله – تعالى – أن يغفر لي ، وأن يهدينا إلى ما يحب ويرضى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

ابن قتيبة وموقفه من القراءات القرآنية

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : وعنوانه : ترجمة موجزة عن ابن قتيبة ،

ويشتمل على:

- **اسمه ونسبه .**
- **مولده .**
- **شيوخه .**
- **تلاميذه .**
- **مصنفاته .**
- **مكانته العلمية .**
- **وفاته .**
- **والمبحث الثاني: وعنوانه : موقف ابن قتيبة من القراءات القرآنية من خلال كتابه تأويل مشكل القرآن .**

المبحث الأول : وعنوانه : ترجمة موجزة لابن قتيبة

اسمه ونسبه:

هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي النحوي اللغوي[١].

مولده:

ولد سنة ٢١٣هـ، واختلف في مكان مولده، فذهب أبو البركات الأنباري إلى أن مولده بالكوفة[٢]، وذهب القفطي وابن خلكان إلى أن مولده ببغداد[٣].

نشأته :

نشأ ببغداد، وكانت تموج حينئذٍ بأعلام العلماء من كل فن، وقد تربى حول مجالس علماء التفسير والحديث الشريف والفقه والنحو واللغة والكلام والأدب والتاريخ[٤].

شيوخه:

أخذ ابن قتيبة عن علماء كثيرين كبار، منهم:

١- والده : مسلم بن قتيبة . ٢- أحمد بن سعيد اللحياني.

٣- محمد بن سلام الجمحي البصري. ٤- ابن راهويه ت٢٣٨هـ.

---

(١) إنباه الرواه على أنباه النحاة ١٤٣/٢ للقفطي (ت٦٢٤هـ) ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – ط الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م ، ووفيات الأعيان ٤٢/٣ لابن خلكان (ت٦٨١هـ) ت/ إحسان عباس- دار صادر بيروت- دون تاريخ، وسير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣ لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) ت/ علي أبو زيد- مؤسسة الرسالة – ط الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٥٩/١ لأبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) – ت/ إبراهيم السامرائي – مكتبة المنار- الزرقاء – الأردن – ط الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(٣) ينظر: إنباه الرواة ١٤٣/٢ ، ووفيات الأعيان ٤٣/٣.

(٤) ينظر: إنباه الرواة ١٤٣/٢، ومقدمة محقق تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٣.

٥- أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي ت٢٤٩هـ . ٦- أبو حاتم السجستاني .

٧- أبو عثمان الجاحظ ت٢٥٤هـ. ٨- أبو الفضل الرياشي ت٢٥٧هـ[١].

تلاميذه:

قد تلمذ له عدد كبير منهم:

١- ابنه أحمد .٢- أحمد بن مروان المالكي (ت٢٩٨هـ).

٣- إبراهيم بن محمد الصائغ (ت٣١٣هـ) .

٤- عبيد الله بن عبد الرحمن السكري (ت٣٢٣هـ).

٥- عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت٣٥٥هـ) [٢].

مصنفاته:

صنف ابن قتيبة – رحمه الله تعالى – كثيرًا من المصنفات، منها:

١- كتاب الصيام.٢- كتاب غريب الحديث.

٣-إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد ٤- تفسير غريب القرآن.

٥- كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها.

٦- كتاب المسائل والأجوبة في الحديث واللغة.

٧- كتاب تأويل مشكل الحديث. ٨- كتاب إعراب القرآن. ٩- كتاب القراءات .

١٠- كتاب تأويل مشكل القرآن [٣].

---

(١) ينظر: إنباه الرواة ١٤٤/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٣، ومقدمة محقق تأويل مشكل القرآن ص٣.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد ١٦٨/١٠ للخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية- بيروت- ت/ مصطفى عبد القادر عطا- ط الأولى ١٤١٧هـ، وسير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٣، ومقدمة محقق تأويل مشكل القرآن ص٣٧.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد ١٦٨/١٠، ونزهة الألباء ١٦٠/١، وإنباه الرواة ١٤٤/٢، ووفيات الأعيان ٤٢/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٣، ومقدمة محقق تأويل مشكل القرآن ص٩.

[٢] ينظر : مقدمة المحقق ص ٧٦ – ٧٧ بتصرف .

كتاب تأويل مشكل إعراب القرآن [١]:

هو ثمرة طيبة من ثمار الدفاع عن القرآن الكريم، الذي أبلى فيه ابن قتيبة بلاءً حسنًا، وقد أعانه على ذلك – بعد عون الله تعالى– امتلاكه لزمام البيان المشرق الرصين، واقتداره على النقد العلمي المتين، وشمول معارفه، وزكاء مداركه ، وسعة عقله (٢).

مكانته العلمية:

عرف العلماء المنصفون قيمة هذا الرجل، قال الخطيب البغدادي: «وكان ثقة دينًا فاضلًا»[٢].

وقال أبو البركات الأنباري: « وكان فاضلًا في اللغة والنحو والشعر، متقنًا في العلوم»[٣].

وقال ابن خلكان: « كان فاضلًا ثقة»[٤].

«وقال مسلمة بن قاسم: كان لغويًا، كثير التأليف، عالمًا بالتصنيف، صدوقًا من أهل السنة.

وقال نفطويه: كان إذا خلا في بيته، وعمل شيئًا جوده، وما أعلمه حكى شيئًا في اللغة إلا صدق فيه.

وقال النديم: كان صادقًا فيما يرويه، عالمًا باللغة والنحو، وكتبه مرغوب فيها»[٥].

---

(١) ينظر : مقدمة المحقق ص ٧٦ – ٧٧ بتصرف .

(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٦٨.

(٣) نزهة الألباء ١/١٦٠ ، وينظر: إنباه الرواة ٢/١٤٤.

(٤) وفيات الأعيان ٣/٤٢.

(٥) لسان الميزان ٥/١٠ باختصار لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ت/ عبد الفتاح أبو غدة– مكتب المطبوعات الإسلامية– دون تاريخ .

هذا وقد هاجمه بعض العلماء فرد عليهم المحقق ردًّا مفحمًا، أبان من خلاله أن الدافع هو الحقد والتعصب والحسد [١].

وفاته:

توفي ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– ببغداد سنة ٢٧٦هـ[٢].

(١) مقدمة المحقق ص٤٧ ومابعدها.

(٢) ينظر: إنباه الرواة ١٤٦/٢، ووفيات الأعيان ٤٣/٣، من مقدمة المحقق ص٣٩.

المبحث الثاني :

موقف ابن قتيبة من القراءات القرآنية من خلال كتابه : تأويل مشكل القرآن .

اختلفت مواقف ابن قتيبة حول القراءات القرآنية على الوجه الآتي:

- وجه القراءات التي ادَّعى من خلالها من زعم وقوع اللحن في القرآن الكريم، فرد عليهم ، ودحض كيدهم.

فقال – متحدثًا عن توجيه قراءة : ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[(١)]– : « وقالوا في نصب (المقيمين) بأقاويل: قال بعضهم: أراد بما أنزل إليك وإلى المقيمين. وقال بعضهم: وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين. وكان الكسائي يرده إلى قوله: «يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ» [البقرة: ٤] أي: ويؤمنون بالمقيمين، واعتبره بقوله – في موضع آخر–: «يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ»[(٢)] أي: بالمؤمنين ، وقال بعضهم: هو نصب على المدح. قال أبو عبيدة : هو نصب على تطاول الكلام بالنّسق»[(٣)].

- أورد بعض القراءات التي تشبه ما ادَّعاه مَنْ ذهب إلى وقوع اللحن في القرآن الكريم، ثم وجه القراءة بما يرد ادعاء هؤلاء.

(١) سورة النساء: من الآية ١٦٢. وقرأ أبي وابن مسعود والحسن وابن جبير وعمرو بن عبيد والجحدري وعيسى بن عمر ومالك بن دينار وعصمة عن الأعمش ويونس وهارون عن أبي عمرو « والمقيمون» نسقًا على الأول . ينظر: البحر المحيط ٤١١/٣ ، ومعجم القراءات ١٨٠/٢.

(٢) سورة التوبة : من الآية ٦١.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٥٣. ت السيد صقر – دار التراث –القاهرة – ط الثانية ١٣٩٣– ١٩٧٣م.

فقال: « ومما يشبه هذه الحروف– ولم يذكروه– قوله –في سورة البقرة–: ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (١) . والقرّاء جميعا على نصب «الصابرين» إلا عاصما الجحدري فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه، وينصبه إذا كتبه، للعلّة التي تقدم ذكرها.

واعتل أصحاب النحو للحرف، فقال بعضهم: هو نصب على المدح، والعرب تنصب على المدح والذم، كأنهم ينوون إفراد الممدوح بمدح مجدد، غير متبع لأول الكلام، كذلك قال الفراء.

وقال بعضهم: أراد وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين والصابرين في البأساء والضراء.

وهذا وجه حسن؛ لأن البأساء: الفقر، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾(٢). والضراء: البلاء في البدن من الزمانة والعلة، فكأنه قال: وآتى المال على حبه السائلين الطوافين، والصابرين على الفقر والضر الذين لا يسألون ولا يشكون، وجعل " الموفين " وسطًا بين المُعْطَين نسقًا على " من آمن بالله " »(٣).

- كان يفاضل بين التوجيهات فيختار ما يراه حسنًا، كما تبين عند توجيه القراءة السابقة.

---

(١) سورة البقرة : من الآية ١٧٧ ، وقرأ الحسن والأعمش ويعقوب والجحدري: «والصابرون» .ينظر: مختصر في شواذ القرآن ص ١٨، والبحر المحيط لأبي حيان (ت٧٤٥هـ) ١٠/٢ ت الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين– دار الكتب العلمية– بيروت ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م،و معجم القراءات القرآنية ١٣٩/١.

(٢) سورة الحج : من الآية ٢٨.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٥٣– ٥٤ .

- استشهد ببعض القراءات على القول بالزيادة ، فقال: « وقوله سبحانه: ﴿ وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[١] يريد وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، فزاد (لا) لأنهم لا يؤمنون إذا جاءت» [٢].
- استشهد ببعض القراءات على التأويل الذي اختاره في قراءة أخرى، فقال: «في سورة الأنعام: ﴿ ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٣] أراد: آتينا موسى الكتاب تماما على المحسنين، كما تقول: أوصي بمال للذي غزا وحج، تريد الغازين الحاجّين، ويكون " الذي " في موضع (من) كأنه قال: تماما على من أحسن... والتأويل الأول أعجب إليّ؛ لأنه في مصحف عبد الله: «تماما على الذين أحسنوا»[٤]. وفي هذا ما دل على ذلك التأويل»[٥].
- رَدَّ استشهاد بعض العلماء بقراءة ، وبَيَّن وَجْه الاستشهاد بها ، فقال: «... واحتج رجل من النحويين –كان يذهب إلى (القدر) – لقول العرب: كذّبت

(١) سورة الأنعام من الآية ١٠٩ ، قال ابن مجاهد: « قرأ ابن كثير: « وما يشعركم إنها » مكسورة الألف، وكذلك قرأ أبو عمرو بالكسر غير أن أبا عمرو كان يختلس حركة الراء من « يشعركم» وقرأ نافع وعاصم – في رواية حفص– وحمزة والكسائي وأحسب ابن عامر: « أنها» بالفتح » . السبعة ص٢٦٥.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٤٤ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٤ .

(٤) قرأ بها عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه– ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٦٥/١، وتفسير الطبري ٢٣٤/١٢ لابن جرير الطبري ت٣١٠هـ– ت/ محمود محمد شاكر– أحمد محمد شاكر– مكتبة ابن تيمية– القاهرة– دون تاريخ، ومعجم القراءات ٣٣٥/٢.

(٥) تأويل مشكل القرآن ٣٩٧– ٣٩٨ .

الرجل وأكذبته- بقول الله -تعالى-: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾[1] «ولا يُكْذِبُونَكَ»، وذكر أنّ أكذبت وكذّبت جميعًا، بمعنى: نسبت إلى الكذب. وليس ذاك كما تأوّل، وإنما معنى أكذبت الرجل: ألفيته كاذبًا . وقول الله - تبارك وتعالى-: «فَإِنَّهُمْ لا يُكْذِبُونَكَ» بالتخفيف أي: لا يجدونك كاذبا فيما جئت به »[2].

- أورد القراءة لبيان تتميم المعنى ، فقال: « وهذا نحو قوله: «وهذا نحو قوله: ﴿سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ ﴾[3] و«سرابيلهم من قَطْرٍ آنٍ»[4] قراءة عكرمة ومن تابعه. والقطر: النّحاس. والآن: الذي قد بلغ منتهى حرّه. كأن قومًا يسربلون هذا، وقومًا يسربلون هذا، ويلبسون هذا تارة، وهذا تارة»[5] .
- بَيَّن أن بعض القراءات جاءت على لغة بعض العرب، فقال – متحدثًا عن لمَّا-: «وتكون بمعنى (إلّا) ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ

(١) سورة الأنعام من الآية ٣٣ ، قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة وابن عامر «لا يُكَذِّبوك» مشددة. وقرأ نافع والكسائي: « لا يُكْذِبونك» خفيفة. السبعة ص٢٥٧ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٢٤- ١٢٥.

(٣) سورة إبراهيم : من الآية ٥٠ .

(٤) قرأ الجمهور « قطران » كلمة واحدة ، وقرأ عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والحسن : « قَطْرٍ آنٍ » كلمتين . ينظر: تفسير الطبري ٧٤٤/١٣ ت د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر بالقاهرة- ط: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م ، والدر المصون ٦٧٩/٧.

(٥) تأويل مشكل القرآن ص٦٩ .

الدُّنْيا﴾[١] أي: إلّا متاع الحياة الدنيا، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْها حافِظٌ ﴾[٢] أي: إلّا عليها، وهي لغة هذيل مع «إن» الخفيفة التي تكون بمعنى (ما) »[٣].

- استشهد بالقراءة الشاذة ، من ذلك قوله : «و (خشيت) بمعنى: (علمت) . قال عز وجل: ﴿فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً﴾[٤] ، أي علمنا. وفي قراءة أبيّ: «فخاف ربك»[٥]. ومثله: ﴿إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللهَّ ﴾[٦] . وقوله: ﴿فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً ﴾[٧] ، أي علم. وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ﴾[٨] ؛ لأنّ في الخشية والمخافة طرفًا من العلم»[٩].
- قد يرى أن القراءة الشاذة أوضح في المعنى من القراءة المتواترة ، من ذلك قوله : «وأما قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[١٠] ، ولم يأت بالشيء الذي

---

(١) سورة الزخرف من الآية ٣٥ . قرأ عاصم وحمزة « لَمَّا» مشددة ، وقرأ عامر في رواية ابن ذكوان: «لمَا» خفيفة، وفي رواية هشام ابن عمار: «لَمَّا» مشددة. وقرأ الباقون «لَمَا» خفيفة. السبعة ص٥٨٦.

(٢) سورة الطارق آية ٤ . قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي « لَمَا » خفيفة ، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة : « لَمَّا» مشددة . السبعة ٦٧٨.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٥٤٢ .

(٤) سورة الكهف من الآية ٨٠ .

(٥) قرأ بها أُبيّ وعبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنهما– . ينظر: مختصر في شواذ القرآن ص٨٥، والكشاف ٦٠٧/٣، ومعجم القراءات القرآنية ٧/٤.

(٦) سورة البقرة من الآية ٢٢٩ .

(٧) سورة البقرة من الآية ١٨٢ .

(٨) سورة الأنعام من الآية ٥١ .

(٩) تأويل مشكل القرآن ص١٩٠– ١٩١ .

(١٠) سورة الرعد من الآية ٣٥ .

جعل له الجنة مثلا، فإن أصل المثل ما ذهبوا إليه من معنى المِثْل ... ثم قد يصير المِثل بمعنى صورة الشيء وصفته، وكذلك المثال والتّمثال ... فأراد الله بقوله: «مَثَلُ الْجَنَّةِ، أي صورتها وصفتها.

وروي أن عليّا – رحمه الله – كان يقرأ: «مثال الجنة»[١] أو «أمثال الجنة»[٢] ، وهو بمنزلة مَثَل، إلا أنه أوضح وأقرب في أفهام الناس إلى المعنى الذي تأوّلناه في «مَثَل» »[٣].

- اتهم بعض القراء باللحن والغلط والوهم ، فقال: «وكذلك لَحْن اللاحنين من القرّاء المتأخرين، لا يجعل حجّة على الكتاب، وقد كان الناس قديمًا يقرؤون بلغاتهم كما أعلمتك. ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة، ولا علم التكلّف، فهفوا في كثير من الحروف وزلّوا وقرؤوا بالشاذ وأخلّوا»[٤].

وخص منهم حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة ، فقال: «منهم رجل ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقرّبه من القلوب بالدين ، لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطًا، ولا أشد اضطرابًا منه؛ لأنه يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره، ثم يؤصّل أصلًا ويخالف إلى غيره لغير ما علّة. ويختار في كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة.

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٨٦/٥ ، ومعجم القراءات القرآنية ٢٢٠/٣.

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء ٦٥/٢، ومختصر في شواذ القرآن ص٧١ ، والكشاف ٣٥٥/٣.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٨٣– ٨٤ .

(٤) السابق ص ٥٨ .

هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، بإفراطه في المد والهمز والإشباع، وحَمْلِه المتعلمين على المركب الصعب، وتعسيره على الأمة ما يسره الله، وتضييقه ما فسحه.

ومن العجب أنه يقرئ الناس بهذه المذاهب، ويكره الصلاة بها! ففي أي موضع تستعمل هذه القراءة إن كانت الصلاة لا تجوز بها؟!

وكان ابن عيينة يرى لمن قرأ في صلاته بحرفه، أو ائتم بقراءته: أن يعيد، ووافقه على ذلك كثير من خيار المسلمين منهم بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل .

وقد شُغِفَ بقراءته عوامّ الناس وسوقهم، وليس ذلك إلا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها، وطول اختلاف المتعلم إلى المقرئ فيها، فإذا رأوه قد اختلف في أمّ الكتاب عشرًا، وفي مائة آية شهرًا، وفي السبع الطّول حولًا، ورأوه عند قراءته مائل الشّدقين، دارّ الوريدين، راشح الجبينين– توهّموا أن ذلك لفضيلة في القراءة وحذق بها.

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله –ﷺ– ، ولا خيار السلف ولا التابعين، ولا القرّاء العالمين، بل كانت قراءتهم سهلة رَسْلَةً. وهكذا نختار لقراء القرآن في أورادهم ومحاريبهم.

فإما الغلام الرَّيِّض والمستأنف للتعلّم، فنختار له أن يؤخذ بالتحقيق عليه، من غير إفحاش في مدّ أو همز أو إدغام، لأن في ذلك تذليلا للّسان، وإطلاقا من الحبسة، وحلّا للعقدة.

وما أقلّ من سلم من هذه الطبقة في حرفه من الغلط والوهم:

فقد قرأ بعض المتقدمين: «ما تلوته عليكم ولا أدرأتكم به»[1] فهمز.

(١) سورة يونس من الآية ١٦ . وهي قراءة شاذة، قرأ بها ابن عباس – رضي الله تعالى =

وقرأ آخر: «فَلا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ»[١] بفتح التاء، وكسر الميم، ونصب الأعداء.

وقرأ يحيى بن وثّاب: «وإن تَلُوا أو تعرضوا»[٢] من الولاية.

وقرأ الأعمش: «وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ»[٣] بكسر الياء ، واتّبعه على ذلك حمزة .

وقرأ نافع: « فبم تبشرونِ»[٤] بكسر النون.

=

عنهما- ، والحسن وابن سيرين وأبو رجاء . ينظر: مختصر في شواذ القرآن ص٦١، والمحرر الوجيز ١١٠/٣ ، ومعجم القراءات القرآنية ٦٤/٣ .

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٠ . وهي قراءة شاذة. قرأ بها مجاهد وحميد وابن محيصن . ينظر: مختصر في شواذ القرآن ص٥١ ، والمحرر الوجيز ٤٥٨/٢ ، والبحر المحيط ٣٩٥/٤ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٣٥ . وهي قراءة متواترة. قرأ بها حمزة وابن عامر ويحيى بن وثاب والأعمش. ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١١٨/٢ للزجاج (ت٣١١هـ) ت د/ عبد الجليل عبده شلبي- عالم الكتب – ط الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، والسبعة في القراءات ص٢٣٩، والنشر ٢٥٢/٢، ومعجم القراءات القرآنية ١٧٠/٢.

(٣) سورة إبراهيم من الآية ٢٢. وهي قراءة متواترة. قرأ الأعمش وحمزة ويحيى بن وثاب «بمصرخيِّ» بكسر الياء الثانية. ينظر: معاني القرآن للفراء ٧٥/٢، والسبعة ص٣٦٢ ، ومعجم القراءات القرآنية ٢٣٤/٣. وروى إسحاق الأزرق عن حمزة «بمصرخيَّ» بفتح الياء الثانية. السبعة ص٣٦٢.

(٤) سورة الحجر من الآية ٥٤ ، وهي قراءة متواترة . قرأ نافع « تبشرونِ» بكسر النون وتخفيفها، وقرأ ابن كثير « تبشرونِّ» بكسر النون وتشديدها، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي « فبم تبشرونَ» بفتح النون نصبًا . السبعة ص٣٦٧.

وقرأ حمزة: «وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ»[١] بالياء»[٢].

وأقول : إن هجوم ابن قتيبة على هذه الطبقة متأثر فيه بالفراء، فقد قال الفراء – عند قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ» : « ... ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى فإنه قل من سلم منهم من الوهم »[٣].

وهو هجوم جانبهما الصواب فيه ، فأكثر القراءات التي اعترض عليها ابن قتيبة والقراءة التي اعترض عليها الفراء متواترة ، صحيحة السند فكيف يُحْكَم على قارئها بالفلط والوهم؟!

وأما هجوم ابن قتيبة على حمزة بن حبيب الزيات، فهو هجوم جانبه فيه الصواب – أيضًا– ، فقد ورد في غاية النهاية في طبقات القراء : «حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر ، أحد القراء السبعة، وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش وكان إمامًا حجةً ثبتًا قيمًا بكتاب الله ، بصيرًا بالفرائض، عارفًا بالعربية، حافظًا للحديث عابدًا خاشعًا زاهدًا ورعًا قانتًا لله ، عديم النظير،قال أبو حنيفة لحمزة: شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض .

وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض .

وقال –أيضا– عنه : ما قرأ حمزة حرفًا من كتاب الله إلا بأثر.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٥٩ ، وهي قراءة متواترة ، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم – في رواية أبي بكر– والكسائي: « وَلَا تَحْسِبَنَّ» بالتاء وكسر السين ، غير عاصم فإنه فتح السين .

وقرأ ابن عامر وحمزة: « ولا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا» بالياء وفتح السين. وروي حفص عن عاصم بالياء. السبعة ص٣٠٧.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٥٩– ٦٤ باختصار .

(٣) معاني القرآن ٧٥/٢ .

وأما ما ذكر عن عبد الله بن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة فإن ذلك محمول على قراءة من سمعا منه ناقلًا عن حمزة وما آفة الأخبار إلا رواتها ، قال ابن مجاهد: قال محمد بن الهيثم: والسبب في ذلك أن رجلًا ممن قرأ على سليم حضر مجلس ابن إدريس فقرأ فسمع ابن إدريس ألفاظًا فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف فكره ذلك ابن إدريس وطعن فيه. قال محمد بن الهيثم : وقد كان حمزة يكره ذلك وينهى عنه»[(١)].

مما سبق يتبين أن هجوم ابن قتيبة أو غيره على حمزة هو هجوم غير مقبول .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور / محمود أحمد الصغير قد انتقد موقف ابن قتيبة من القراءات القرآنية من خلال صفحتين من كتابه: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي.

وفيما يلي بيان انتقاداته والتعقيب عليها :

قال د/ محمود الصغير:« يعد ابن قتيبة الوريث الشرعي لمذهب أستاذه أبي حاتم السجستاني في تهجمه على القراءات، من دون تمكن أو دراية عميقة بوجوه العربية، قال أبو الطيب اللغوي: «كان يتسرع في أشياء لا يقوم بها، نحو تعرضه لتأليف كتاب في النحو...، مما أزرى به عند العلماء»[(٢)].

وهذا اتهام جانبه الصواب فيه، وقد سبق في ترجمة ابن قتيبة الرد على هذا الكلام. صحيح اعترض ابن قتيبة على بعض قراءات متواترة وبعض قراءات شاذة، ولكن لم يكن من باب التهجم كما وصفه الدكتور محمود الصغير، ولكن من باب الحرص على القرآن الكريم، وقد بينت مجانبة الصواب له في ذلك.

---

(١) ١/٢٣٧- ٢٣٨ باختصار – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

(٢) ص١٤٤ دار الفكر المعاصر – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .

وقال د/ محمود الصغير: « وكان ابن قتيبة يتعصب لمذهبه النحوي، ولو كلفه ذلك الطعن على بعض مظاهر القرآن أو قرائه الكبار، فقد ذهب إلى الاعتقاد بأن صحة الحديث الذي يروى خطأ الكتاب في مصحف عثمان مرهونة بإيجاد وجوه نحوية لهذه الأخطاء»(١).

هو يقصد ما قاله ابن قتيبة – عند حديثه عن باب ما ادُّعى على القرآن من اللحن– فقد وَجّه القراءات التي ادُّعى أنها لحن ثم قال: « وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطًا من الكاتب كما ذكرت عائشة – رضي الله عنها– .

فإن كانت على مذاهب النحويين فليس هاهنا لحن – بحمد الله تعالى– .

وإن كانت خطأ في الكتاب فليس على رسوله – ﷺ– جناية الكاتب في الخط.

ولو كان هذا عيبًا يرجع على القرآن ، لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجي ... وكتبت كُتَّاب المصحف الصلوة والزكوة والحيوة بالواو ، واتبعناهم في هذه الحروف خاصة على التيمن بهم»(٢).

لم يكن ابن قتيبة متعصبًا لمذهبه ، قال أ/ السيد صقر محقق تأويل مشكل القرآن: « وابن قتيبة من البصريين، ولكنه لم يكن متعصبًا لمذهبه ، بل مزج بين المذهبين»(٣).

كما أن ابن قتيبة لم يرهن صحة الحديث بإيجاد وجوه نحوية ، بل ظاهر كلامه يدل على حرصه على دفع اللحن عن القرآن الكريم.

---

(١) السابق ص ١٤٥.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٥٦– ٥٧.

(٣) السابق ، مقدمة المحقق ص ٧٣.

ولكن يؤخذ على كلام ابن قتيبة ما يلي:

أولًا: أن القراءة لا تتوقف على صحة الإعراب ، بل على صحة السند.

ثانيًا: كان عليه مراجعة حديث السيدة عائشة وسيدنا عثمان – رضي الله تعالى عنهما– .

قال الفخر الرازي : « ... أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ كَلَامُ اللَّه تَعَالَى وَكَلَامُ اللَّه تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَحْنًا وَغَلَطًا فَثَبَتَ فَسَادُ مَا نُقِلَ عَنْ عُثْمَانَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَنَّ فِيهِ لَحْنًا وَغَلَطًا .. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ إِنَّ الصَّحَابَةَ هُمُ الْأَئِمَّةُ وَالْقُدْوَةُ فَلَوْ وَجَدُوا فِي الْمُصْحَفِ لَحْنًا لَمَا فَوَّضُوا إِصْلَاحَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ »(١).

قال د/ محمود الصغير – في نقده لابن قتيبة– : « كما طعن على كثير من القراء المتقدمين ورماهم بالوهم والغلط، وشدد النكير على حمزة أحد القراء السبعة ، ونعته بالجهل والخلط وتضليل العامة في اختياراته ، ورفض بعض قراءاته . وقد اتبع المنهج ذاته في القراءات النادرة فرفض بعضًا وقبل بعضًا»(٢).

وهو محق في اعتراضه هذا . وقد بينت الرد على ابن قتيبة.

(١) التفسير الكبير ٢٢/٧٥ .

(٢) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ص١٤٥ .

الفصل الثاني

توجيه القراءات القرآنية الواردة في كتاب : تأويل مشكل القرآن .

ويشتمل على :

أولاً : تمهيد .

ثانياً : توجيه القراءات القرآنية الوردة في كتاب : تأويل مشكل القرآن ، وهي مرتبة حسب المصحف الشريف .

أولاً : التمهيد

ويشتمل على :

- **القراءة التي يجوز أن يُقْرأ بها .**
- **القراءة الشاذة .**
- **رد ابن قتيبة على الطاعنين في القرآن الكريم باختلاف القراءات القرآنية .**
- **وجوه الاختلاف في القراءة وحقيقته .**
- **فائدة اختلاف القراءات القرآنية .**

- **القراءة التي يجوز أن يقرأ بها:**

هي: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين»(١).

وأما ابن قتيبة فلم ينص إلا على شرط واحد ، فقال: « فإن قال قائل: فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع هذه الوجوه؟ قيل له: كل ما كان منها موافقا لمصحفنا غير خارج من رسم كتابه– جاز لنا أن نقرأ به. وليس لنا ذلك فيما خالفه ؛ لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين، قرؤوا بلغاتهم، وجروا على عادتهم، وخلّوا أنفسهم وسَوْمَ طبائعهم، فكان ذلك جائزا لهم، ولقوم من القرّاء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل، فأما نحن معشر المتكلفين، فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العرض، وليس لنا أن نعدوه، كما كان لهم أن يفسّروه، وليس لنا أن نفسّره »(٢).

(١) النشر في القراءات العشر ٩/١ لابن الجزري (ت٨٣٢هـ) ت / علي محمد الضباع شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية– دون تاريخ. وينظر: الإبانة عن معاني القراءات ٥١/١ لمكي القيسي (ت٤٣٧هـ) ت/ د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي– دار نهضة مصر – دون تاريخ ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات ٦٧/١ للإمام شهاب الدين القسطلاني(ت٩٢٣هـ) ت الشيخ/ عامر السيد عثمان– د/ عبد الصبور شاهين – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– القاهرة – ١٣٩٢هـ– ١٩٧٢م ، والاختلاف بين القراءات ص٧٦ لأحمد البيلي – دار الجيل – بيروت – ط الأولى ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٤٢.

ولعل ابن قتيبة نص على هذا فقط ؛ لأنه قال هذا الكلام في معرض حديثه عن وجوه الاختلاف في القراءات وحقيقته ، بدليل إجابته على السؤال.

- القراءة الشاذة :

هي التي اختل فيها شرط أو أكثر من شروط القراءة التي يجوز أن يقرأ بها، وهي:

١- موافقة وجه من وجوه العربية. ٢- موافقة أحد المصاحف العثمانية .

٣- صحة السند .

سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم(١).

وتجدر الإشارة إلى أن : « كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترًا أم أحادًا أم شاذًا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معروفًا ، بل ولو خالفته ، يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه»(٢).

ولكن يبدو لي أن الذي لم يصح سنده لا يجوز الاحتجاج به.

- رد ابن قتيبة على الطاعنين في القرآن الكريم باختلاف القراءات القرآنية:

قال ابن قتيبة- حاكيًا عن الطاعنين-: «وكان مما بلغنا عنهم: أنهم يحتجّون بقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِّ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾(٣)، وبقوله: ﴿لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾(٤).

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر ٩/١، وفي علوم القراءات ص٥٧ د/ السيد رزق الطويل – الفيصلية – مكة المكرمة – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

(٢) الاقتراح ص٥١ للإمام السيوطي (ت٩١١هـ) ت / طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الصفا- القاهرة -١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) سورة النساء من الآية ٨٢.

(٤) سورة فصلت من الآية ٤٢.

وقالوا: وجدنا الصحابة،– رضي الله عنهم– ومن بعدهم، يختلفون في الحرف الواحد»[١].

وتصدى ابن قتيبة لهؤلاء الطاعنين ،فرد عليهم قائلًا:« أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف، فإنا نحتج عليهم فيه ، بقول النبي–ﷺ–: «نزل القرآن على سبعة أحرف، كلّها شافٍ كافٍ، فاقرءوا كيف شئتم»[٢].

وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم: فقالوا السبعة الأحرف : وعد ووعيد ، وحلال ، وحرام، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج.

وقال آخرون : هي سبع لغات في الكلمة .

وقال قوم: حلال ، وحرام ، وأمر ، ونهي ، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال.

وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل، ومن قال: فلان يقرأ بحرف (أبي عمرو) أو بحرف (عاصم)، فإنه لا يريد شيئًا مما ذكروا ، وليس يوجد في كتاب الله – تعالى– حرف قرئ على سبعة أوجه – يصح فيما أعلم .

وإنما تأويل قوله –ﷺ– : « نزل القرآن على سبعة أحرف»: على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن ، يدلك على ذلك قول رسول الله –ﷺ–: « فاقرءوا كيف شئتم».

وقال عمر: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَقَدْ كَانَ النبي اللَّهِ –ﷺ– أَقْرَأَنِيهَا، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ – ﷺ– فأخبرته ،

(١) تأويل مشكل القرآن ص٢٤.

(٢) ورد الحديث بلفظ « أنزل» في : مسند إسحاق بن راهويه ١٩٣/٥ عن أم أيوب – باب ما يروى عن أم أيوب عن النبي –ﷺ– حديث رقم ٢٣٢١– لابن راهويه (ت٢٣٨هـ) ت د/عبد الغفور عبد الحق البلوشي– مكتبة الإيمان – المدينة المنورة – ط الأولى ١٤١٢هـ– ١٩٩١م.

فقَالَ لَهُ: «اقْرَأْ» ، فَقَرَأَ تلك القراءة، فَقَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ» ، ثُمَّ قَالَ لِي: «اقْرَأْ» ، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ». ثم قال: «إِنَّ القُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ»(١).

فمن قرأه قراءة «عبد الله» فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة «أُبيّ» فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة «زيد» فقد قرأ بحرفه(٢).

والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم ، وعلى الكلمة الواحدة ، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها، والخطبة كلها ، والقصيدة بكمالها .

ألا ترى أنهم يقولون: قال الشاعر كذا في كلمته، يعنون في قصيدته.

والله جل وعز يقول: ﴿ وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾(٣) ، وقال: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى﴾(٤) ، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ ﴾(٥).

وقال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَّ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ﴾(٦) ، أراد سبحانه وتعالى: من الناس من يعبد الله

(١) الحديث رواه البخاري ١٢٢/٣ كتاب الخصومات – باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، وكتاب فضائل القرآن– باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ١٨٥/٦٠، وباب من لم ير بأسًا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا ١٩٤/٦. صحيح البخاري– تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ.

(٢) يقصد : عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب (ت٣٥هـ)، وزيد بن ثابت (ت٤٥هـ) – رضي الله تعالى عنهم–.

(٣) سورة التوبة : من الآية ٧٤ .

(٤) سورة الفتح : من الآية ٢٦.

(٥) سورة الصافات : الآيات ١٧١– ١٧٢– ١٧٣.

(٦) سورة الحج : من الآية ١١.

على الخير يصيبه من تثمير المال، وعافية البدن، وإعطاء السّؤل، فهو مطمئن ما دام ذلك له. وإن امتحنه الله – تعالى – باللّأواء في عيشه، والضّراء في بدنه وماله، كفر به.

فهذا عَبَدَ الله على وجه واحد، ومعنى متحد، ومذهب واحد، وهو معنى الحرف "[١].

- **وجوه الاختلاف في القراءات وحقيقته :**

أبان ابن قتيبة وجوه الاختلاف في القراءات، فقال: « وقد تدبّرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها نحو قوله تعالى: ﴿هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[٢] «وأطهرَ لكم»[٣]، ﴿وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[٤] «وهل يُجازى إلّا الكفور»[٥]، ﴿فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ﴾[٦] «وميسُرة»[٧].

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص٣٣– ٣٦، وينظر: الإبانة عن معاني القراءات ص٧١ ، والنشر في القراءات العشر ٢٣/١ وما بعدها ، وموقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة ص١٥– محمد السيد أحمد عزوز – عالم الكتب – ط الأولى ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

(٢) سورة هود : من الآية ٧٨ .

(٣) ابن مروان وعيس بن عمر. مختصر في شواذ القرآن ص٦٥ لابن خالويه – مكتبة القاهرة – دون تاريخ .

(٤) سورة سبأ : من الآية ١٧ .

(٥) قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر. السبعة في القراءات ص٥٢٩ لابن مجاهد – ت د/ شوقي ضيف – دار المعارف بمصر – دون تاريخ.

(٦) سورة البقرة : من الآية ٢٨٠

(٧) قرأ نافع وحده بضم السين . السبعة ص١٩٢.

والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا﴾[١]، «ورُبّنا باعدَ بين أسفارنا»[٢].

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها﴾[٣] «ونُنْشِرُها»[٤].

والوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها، نحو قوله: «إن كانت إلّا زقية»[٥] و ﴿صَيْحَةً﴾[٦].

والوجه الخامس :أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله: «وطلع منضود»[٧] في موضع ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[٨] .

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير. نحو قوله: ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[٩] ، وفي موضع آخر: «وجاءت سكرة الحقّ بالموت»[١٠] .

---

(١) سورة سبأ من الآية ١٩ .

(٢) « ربنا باعَدَ بين سفرنا» يحيى بن يعمر . مختصر في شواذ القرآن ص١٢٢.

(٣) سورة البقرة : من الآية ٢٥٩.

(٤) قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو . السبعة ص١٨٩.

(٥) سورة يس : من الآية ٢٩ .

(٦) «إن كانت زقية» ابن مسعود . مختصر في شواذ القرآن ص١٢٥.

(٧) سورة الواقعة : الآية ٢٩.

(٨) قرأ علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه– «وطلع منضود». مختصر في شواذ القرآن ص١٥١.

(٩) سورة ق : من الآية ١٩.

(١٠) قرأ بها أبو بكر الصديق– ﷺ– وأُبَيّ – رحمه الله – . مختصر في شواذ القرآن =

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: «وما عملت أيديهم»[١] ، ﴿وَما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[٢].

وكل هذه الحروف كلام الله –تعالى– نزل به الروح الأمين على رسوله – عليه السلام– وذلك أنه كان يعارضه في كل شهر من شهور رمضان[٣] بما اجتمع عنده من القرآن فَيُحْدِثُ الله إليه من ذلك ما يشاء، وينسخ ما يشاء، وييسّر على عباده ما يشاء ، فكان من تيسيره : أن أمره بأن يُقرئ كل قوم بلغتهم »[٤].

وتجدر الإشارة إلى أن ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– قد أورد فيما سبق قراءات سبعية متواترة، وقراءات شاذة، محتجًا بها على بيان وجوه الاختلاف في القراءات القرآنية.

وقد وافقه في بيان وجوه اختلاف القراءات بعض العلماء قديمًا[٥] ، وحديثًا[٦] .

=

ص١٤٥.

(١) سورة يس : من الآية ٣٥ .

(٢) قرأ عاصم – في رواية أبي بكر– وحمزة والكسائي « وما عملت أيديهم». السبعة ص٥٤٠.

(٣) حديث معارضة جبريل بالقرآن في رمضان. أخرجه البخاري كتاب الصوم باب أجود ما كان النبي –ﷺ– يكون في رمضان ٢٦/٣. صحيح البخاري .

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٣٦–٣٩ باختصار . وينظر: النشر ٢٦/١، ولطائف الإشارات لفنون القراءات ص٣٨.

(٥) ينظر: الإبانة عن معاني القراءات ص٧٤.

(٦) ينظر: موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة ص١٨.

واستحسن ابن الجزري رأي ابن قتيبة وعقب عليه ، فقال« وهو حسن كما قلنا إلا أن تمثيله بـ " طلع نضيد " و " طلح منضود " لا تعلق له باختلاف القراءات، ولو مثل عوض ذلك بقوله: " بضنين "[1] بالضاد و " بظنين "[2] بالظاء لاستقام ، على أنه قد فاته كما فات غيره أكثر أصول القراءات: كالإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإمالة، والتفخيم، وبين بين، والمد والقصر، وبعض أحكام الهمز، كذلك الروم والإشمام، على اختلاف أنواعه وكل ذلك من اختلاف القراءات وتغاير الألفاظ مما اختلف فيه أئمة القراء وقد كانوا يترافعون بدون ذلك إلى النبي – صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم –، ويرد بعضهم على بعض كما سيأتي تحقيقه وبيانه في باب الهمز والنقل والإمالة، ولكن يمكن أن يكون هذا من القسم الأول فيشمل الأوجه السبعة على ما قررناه»[3].

هذا.. وقد أوضح ابن قتيبة حقيقة اختلاف القراءات، فقال: « فإن قال قائل: هذا جائز في الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحدا، فهل يجوز – أيضًا – إذا اختلفت المعاني؟

قيل له: الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، واختلاف تضادّ. فاختلاف التّضاد لا يجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ.

(واختلاف التغاير جائز) ، وذلك مثل قوله: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[4] أي بعد حين، «وبَعْدَ أَمَهٍ»[5] أي: بعد نسيان له، والمعنيان جميعًا وإن اختلفا صحيحان؛

(١) سورة التكوير : من الآية ٢٤ .

(٢) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي . السبعة ص٦٧٣ .

(٣) النشر ٢٨/١ باختصار يسير .

(٤) سورة يوسف: من الآية ٤٥ .

(٥) قراءة ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما– والحسن والضحاك وغيرهم. معجم القراءات =

لأنه ذكر أمر يوسف بعد حين وبعد نسيان له، فأنزل الله على لسان نبيه – صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم – ، بالمعنيين جميعًا في غرضين.

وكقوله: ﴿رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا﴾[١] على طريق الدعاء والمسألة، و «ربُّنا باعَدَ بين أسفارنا»[٢] على جهة الخبر، والمعنيان وإن اختلفا صحيحان؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يفرّقهم في البلاد فقالوا: ﴿رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا﴾ فلما فرقهم الله في البلاد أيدي سبا، وباعد بين أسفارهم، قالوا: ربُّنا باعد بين أسفارنا وأجابنا إلى ما سألنا، فحكى الله – سبحانه– عنهم بالمعنيين في غرضين.

وكذلك قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[٣]، «ولَقَدْ عَلِمْتُ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ»[٤]؛ لأن فرعون قال لموسى إن آياتك التي أتيت بها سحر. فقال موسى مرّة: لقد علمتُ ما هي سحر ولكنها بصائر، وقال مرّة: لقد علمتَ – أنت أيضًا– ما هي سحر، وما هي إلا بصائر. فأنزل الله المعنيين جميعًا.

وكل ما في القرآن من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصان– فعلى مثل هذه السبيل»[٥].

=

القرآنية ١٧٣/٣ د/ أحمد مختار عمر – د/ عبد العال سالم مكرم– مطبوعات جامعة الكويت– ط الثانية ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

(١) سورة سبأ : من الآية ١٩ .

(٢) سبق تخريج القراءة .

(٣) سورة الإسراء : من الآية ١٠٢.

(٤) قرأ الكسائي وحده « لقد علمتُ» بضم التاء . السبعة ص٣٨٥.

(٥) تأويل مشكل القرآن ص٤٠ – ٤٢ باختصار .

وهذا ما أكده ابن الجزري قائلًا: « فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله – تعالى– »[١].

ثم أضاف قائلًا: « وكل ما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحدا من الأمة رده ولزم الإيمان به، وأن كله منزل من عند الله»[٢].

قال ابن تيمية : « ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده»[٣].

ويحسب لابن قتيبة – رحمه الله تعالى– أنه من أوائل المدافعين عن مسألة اختلاف القراءات القرآنية ، وأنها لا تتضمن تضادًا ولا تناقضًا.

وحين نتأمل هجوم مستشرقين العصر الحديث من هذا الجانب نجدهم يسيرون على خطا الطاعنين بالأمس، ولكن شاء الله – تعالى– أن يكشف زيفهم، ويرد كيدهم في نحورهم[٤].

– فائدة اختلاف القراءات القرآنية :

أوضح ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– فائدة اختلاف القراءات القرآنية ، فأشار إلى أن من تيسير الله –تعالى– على عباده أن أمر النبي – ﷺ – بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم .

---

(١) النشر ٤٩/١ . وينظر: لطائف الإشارات ص٣٧ .

(٢) النشر ٥١/١ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٩١/١٣ لابن تيمية (ت٧٢٨هـ) ت/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

(٤) ينظر: هجوم المستشرق جولد تسهير والرد عليه في : الاختلاف في القراءات القرآنية ص١٢– إياد سالم صالح – جامعة تكريت – كلية التربية – سامراء – دون تاريخ.

وأضاف قائلاً : «ولو أن كل فريق من هؤلاء، أُمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا– لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للّسان، وقطع للعادة. فأراد الله برحمته ولطفه، أن يجعل لهم متّسعًا في اللغات، ومتصرّفًا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدّين حين أجاز لهم على لسان رسوله – ﷺ– ، أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم، وصلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحجّهم ... وسائر أمور دينهم»[١].

وزاد ابن الجزري على ما سبق فوائد أخرى [٢].

(١) تأويل مشكل القرآن ص٣٩– ٤٠ باختصار يسير ، وينظر: الإبانة عن معاني القراءات ص٨٠.

(٢) ينظر: النشر ٥٢/١.

ثانياً : توجيه القراءات القرآنية ، الواردة في كتاب : تأويل مشكل القرآن ، مرتبة حسب المصحف الشريف .

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾(١)

أورد ابن قتيبة هذه القراءة في صدد حديثه عن الرد على من ادعى اللحن في القرآن الكريم، وأورد القراءة على أنها تشبه ما أوردوه ورد عليهم قولهم، فقال: « ومما يشبه هذه الحروف– ولم يذكروه– قوله في سورة البقرة: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾. والقرّاء جميعًا على نصب " الصابرين " إلا عاصمًا الجحدري فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه، وينصبه إذا كتبه، للعلّة التي تقدم ذكرها.

واعتل أصحاب النحو للحرف، فقال بعضهم: هو نصب على المدح، والعرب تنصب على المدح والذم، كأنهم ينوون إفراد الممدوح بمدح مجدد، غير متبع لأول الكلام، كذلك قال الفراء.

وقال بعضهم: أردا وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين والصابرين في البأساء والضراء.

وهذا وجه حسن؛ لأن البأساء: الفقر، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾(٢). والضراء: البلاء في البدن من الزمانة والعلة، فكأنه قال: وآتى المال

(١) سورة البقرة : من الآية ١٧٧ ، سبق تخريج القراءة .

(٢) سورة الحج : من الآية ٢٨.

على حبه السائلين الطوافين، والصابرين على الفقر والضر الذين لا يسألون ولا يشكون، وجعل " الموفين " وسطًا بين المُعطَين نسقا على «من آمن» »[١].

توجيه القراءة :

وجهت القراءة بالتوجيهات الآتية :

الأول: « الموفون» مرفوع عطفًا على «من» و«الصابرين» معطوف «على ذوي القربى»، كأنه قال: آتى الصابرين.

ذهب إلى هذا الوجه الكسائي[٢]، واستحسنه ابن قتيبة كما سبق.

واعترض أبو جعفر النحاس على هذا الوجه ، فقال: « وهذا القول خطأ وغلط بيّن؛ لأنك إذا نصبت «والصابرين» ونسقته على «ذوي القربى» دخل في صلة «مَنْ»، فقد نسقت على «مَنْ» من قبل أن تتمّ الصلة وفرقت بين الصلة والموصول بالمعطوف »[٣].

الثاني: « الموفون» مرفوع عطفًا على «مَن»، و « الصابرين» منصوب على المدح، وهو من صفة «من». وإليه ذهب الفراء[٤] ، ووافقه الزمخشري[٥] ، وأبو حيان [٦]. وهو أحد أقوال ذكرها أبو جعفر النحاس [٧].

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص٥٣– ٥٤ .

(٢) ينظر: معاني القرآن ص٨٣ . للكسائي (ت١٨٩هـ) د/عيسى شحاته عيسى – دار قباء بالقاهرة – ١٩٩٨م .

(٣) إعراب القرآن ٢٨١/١ لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ت/د. زهير غازي زاهد – عالم الكتب– ط الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

(٤) معاني القرآن ١٠٥/١ للفراء (ت٢٠٧هـ) ت/ أحمد يوسف نجاتي– محمد علي النجار– دار السرور – دون تاريخ.

(٥) الكشاف ٣٦٧/١ للزمخشري (ت٥٣٨هـ) ت الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين– مكتبة العبيكان – ط الأولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.

(٦) البحر المحيط ١٠/٢ .

(٧) إعراب القرآن ٢٨٠/١ .

الثالث: « الموفون» رفعًا على المدح ، أي : وهم الموفون . و«الصابرين» عطفًا على «ذوي القربى». وهو أحد أقوال أجازها أبو جعفر النحاس[١].

واعترض الفخر الرازي على هذا الوجه قائلًا: « بَلْ هَذَا أَشْنَعُ لِأَنَّ الْمَدْحَ جُمْلَةٌ فَإِذَا لَمْ يَجُزِ الْفَصْلُ بِالْمُفْرَدِ فَلِأَنْ لَا يَجُوزَ بِالْجُمْلَةِ كَانَ ذَلِكَ أَوْلَى»[٢].

ويُلحظ هنا أن أبا جعفر النحاس قد وقع فيما اعترض به على الفراء.

الرابع: « الموفون » رفعًا على المدح أي وهم الموفون. « والصابرين» منصوب على المدح. وهو أحد أقوال أجازها أبو جعفر النحاس [٣].

الخامس: « الموفون» مرفوع عطفًا على الضمير المستتر في « آمن» و«الصابرين» منصوب عطفًا على «ذوي القربى» .

وهو أحد أوجه أجازها أبو جعفر النحاس[٤] ، والسمين الحلبي[٥].

قال السمين: «ولا يَمْنَعُ من ذلك ما تقدَّم من الفصلِ بالأجنبي، لأنَّ الموفين على هذا الوجه داخلٌ في الصلةِ فهو بعضُها لا أجنبيٌّ منها»[٦].

السادس: « الموفون» مرفوع عطفًا على الضمير المستتر في «آمن». و«الصابرين» منصوب على المدح. وهو أحد أوجه أجازها السمين الحلبي [٧].

---

(١) السابق ٢٨٠/١ .

(٢) التفسير الكبير ٤٨/٥ للفخر الرازي (ت٦٠٤هـ) دار الفكر – دون تاريخ.

(٣) إعراب القرآن ٢٨٠/١.

(٤) السابق ٢٨١/١ .

(٥) الدر المصون ٢٥٠/٢ للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ت د/ أحمد محمد الخراط – دار القلم– دمشق– دون تاريخ.

(٦) السابق ٢٥٠/٢ . لعل الأصوب : لأن " الموفون " على الحكاية .

(٧) السابق ٢٥٠/٢ .

وأما قراءة : «والصابرون» فالرفع عطفًا على « الموفون» [١].

وبعد . فقد ظهر من خلال ما سبق أن هذه القراءة قد وجهت بأكثر من توجيه، كما ظهر أن الوجه الذي استحسنه ابن قتيبة قد تم الاعتراض عليه، وأما توجيه الفراء الذي أورده ابن قتيبة فهو توجيه صحيح ولا غبار عليه .

والله – تعالى– أعلم .

(١) ينظر: البحر المحيط ٢/١٠ .

قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[1].

قرئ: ﴿ وَإِنْ تَلُوا أَوْ تُعْرِضُوا ﴾[2].

وقد أورد ابن قتيبة هذه القراءة في صدد اتهامه لبعض القراء بالغلط والوهم، فقال: «وقرأ يحيى بن وثّاب: «وإن تَلُوا أو تعرضوا» من الولاية، ولا وجه للولاية ههنا، إنما هي تَلْوُوا – بواوين– من ليِّك في الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر، قال الله – عز وجل– : ﴿ يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ ﴾[3]، واتبعه على هذه القراءة الأعمش وحمزة»[4].

توجيه القراءة :

ورد في توجيه هذه القراءة أقوال :

الأول: أنه من لَوى يَلْوي كقراءة الجماعة، إلا أن الواو المضمومة قلبت همزة، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها فحذفت.

وإليه ذهب الفراء[5] ، وأبو جعفر النحاس– في إعراب القرآن –[6].

وهو أول وجهين أجازهما الزجاج[7]، وثاني قولين أوردهما أبو جعفر النحاس – في معاني القرآن[8] – وثاني أوجه ذكرها أبو حيان [9].

---

(١) سورة النساء من الآية ١٣٥ .

(٢) سبق تخريج القراءة .

(٣) سورة آل عمران : من الآية ٧٨ .

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٦٢ .

(٥) معاني القرآن ٢٩١/١.

(٦) ٤٩٥/١.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١١٨/٢.

(٨) ٢١٥/٢ ت الشيخ / محمد علي الصابوني– جامعة أم القرى– المملكة العربية السعودية– ط الأولى ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م .

(٩) البحر المحيط ٣٨٦/٣ .

واعترض الفخر الرازي على هذا القول، فقال: « وهذا أضعف الوجهين"[١].

الثاني: أنه من لَوى يَلْوي – أيضًا – إلا أن الضمة استثقلت على الواو الأولى ، فنقلت إلى اللام الساكنة تخفيفًا، فالتقى ساكنان فحذف الأول منهما.

ويعزى هذا للنحاس[٢].

واعترض السمين الحلبي على الوجهين السابقين، فقال: « وفي هذين التخريجين نظر، وهو أن لام الكلمة قد حذفت أولًا كما قررته فصار وزنه : تَفْعُوا بحذف اللام ثم حذفت العين ثانيًا فصار وزنه : تَفُوا ، وذلك إجحاف بالكلمة»[٣].

الثالث : أن كلمة «تلوا» من الولاية . أي: وإن وليتم إقامة الشهادة، أو أعرضتم عن إقامتها، والولاية على الشيء هو الإقبال عليه .

وإليه ذهب أبو علي الفارسي – في الحجة[٤]– ، ووافقه الزمخشري[٥].

وأجازه الفراء[٦]، والزجاج[٧]، وأول وجهين ذكرهما أبو جعفر النحاس في معاني القرآن[٨] ناسبًا إياه إلى الكسائي.

---

(١) التفسير الكبير ٧٥/١١ .

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣٨٦/٣ ، والدر المصون ١١٨/٤، ولم أجده في إعراب القرآن ولا في معاني القرآن.

(٣) الدر المصون ١١٨/٤ – ١١٩ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ١٨٥/٣ت/ بدر الدين قهوجي – بشير جويجاني– دار المأمون للتراث– بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

(٥) الكشاف ١٦٢/٢.

(٦) معاني القرآن ٢٩١/١.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١١٨/٢ .

(٨) ٢١٥/٢ .

كما أنه أول وجهين أوردهما الفخر الرازي[١] وأول أوجه ذكرها أبو حيان[٢]، وثالث أوجه أوردها السمين الحلبي[٣] .

وقد لَحَّن قوم هذه القراءة ، كما قد سبق اتهام ابن قتيبة لصاحب هذه القراءة، ودافع أبو حيان عن هذه القراءة ، فقال: « ولحن بعض النحويين قارئ هذه القراءة قال : لا معنى للولاية هنا. وهذا لا يجوز ؛ لأنها قراءة متواترة في السبع، ولها معنى صحيح وتخريج حسن»[٤].

ووافق السمين الحلبي شيخه أبا حيان في الدفاع عن هذه القراءة[٥].

وبعد فقد ظهر من خلال ما سبق أن القراءة متواترة ولها معنى صحيح ، وتوجيه حسن، ومن ثم فلا وجه للاعتراض على القراءة أو صاحبها، ومن ثم فابن قتيبة قد جانبه الصواب في اتهامه لصاحب هذه القراءة .

والله – تعالى – أعلم

(١) التفسير الكبير ٧٥/١١ .
(٢) البحر المحيط ٣٨٦/٣.
(٣) الدر المصون ١١٩/٤.
(٤) البحر المحيط ٣٨٦/٣
(٥) الدر المصون ١١٩/٤ .

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١].

أورد ابن قتيبة هذه القراءة في صدد رده على من ادعى اللحن في القرآن الكريم، فقال – موضحًا توجيه العلماء لهذه القراءة– : «وقالوا في نصب « المقيمين» بأقاويل: قال بعضهم: أراد بما أنزل إليك وإلى المقيمين. وقال بعضهم: وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين. وكان الكسائي يرده إلى قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ أي: ويؤمنون بالمقيمين، واعتبره بقوله – في موضع آخر– : « يؤمن للمؤمنين»[٢] أي: بالمؤمنين . وقال بعضهم: هو نصب على المدح . قال أبو عبيدة : هو نصب على تطاول الكلام بالنسق»[٣].

توجيه القراءة :

ورد في توجيه هذه القراءة التوجيهات الآتية :

الأول: أن « المقيمين» منصوب على المدح؛ لبيان فضل الصلاة، أي: أنه من باب قطع الصفة لإفادة المدح . وإليه ذهب سيبويه[٤] ، والفراء[٥] ، والزمخشري [٦]، وصححه أبو جعفر النحاس[٧].

(١) سورة النساء : من الآية ١٦٢. سبق تخريج القراءة .

(٢) سورة التوبة من الآية ٦١ .

(٣) تأويل مشكل القراء ص٥٣ .

(٤) الكتاب ٦٣/٢ – ت عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي بالقاهرة– ط الثالثة ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٣١/٢ .

(٥) معاني القرآن ١٠٦/١.

(٦) الكشاف ١٧٨/٢ ، وينظر: البحر المحيط ٤١١/٣.

(٧) إعراب القرآن ٥٠٥/١ .

واعترض الكسائي على هذا الوجه، فقال: « لا ينصب الممدوح إلا عند تمام الكلام ، ولم يتمم الكلام في سورة النساء»[١]، وأوضح الفراء كلام الكسائي فقال: « ألا ترى أنك حين قلت: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ ﴾ إلى قوله : "**وَٱلۡمُقِيمِينَ** " و﴿ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ﴾ كأنك منتظر لخبره ، وخبره في قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ "[٢].

وأجاب الفراء ، فقال: « والكلام أكثره على ما وصف الكسائي . ولكن العرب إذا تطاولت الصفة جعلوا الكلام في الناقص وفي التام كالواحد»[٣].

كما أجاب الفخر الرازي، فقال: « لا نسلم أن الكلام لم يتم إلا عند قوله « أولئك»؛ لأنا بينا أن الخبر هو قوله « يؤمنون» و-أيضًا- لم لا يجوز الاعتراض بالمدح بين الاسم والخبر، وما الدليل على امتناعه؟ فهذا القول هو المعتمد في هذه الآية»[٤].

وقد ذهب أبو حيان وتلميذه السمين إلى أن الخبر قوله « يؤمنون» لا غير؛ لأن المدح لا يكون إلا بعد تمام الجملة[٥].

الثاني: أن « مجـ » خفض بالعطف على «ما» في قوله : ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾، والمعنى : والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة . وإليه ذهب إلى هذا الكسائي[٦].

---

(١) معاني القرآن للفراء ١٠٧/١ .

(٢) السابق ١٠٧/١ .

(٣) السابق ١٠٧/١ .

(٤) التفسير الكبير ١٠٨/١١.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٤١١/٣، والدر المصون ١٥٣/٤.

(٦) معاني القرآن للكسائي ص١٢٠- ١٢١ ، معاني القرآن للفراء ١٠٧/١ ، والتفسير الكبير =

واختلف في المراد بـ«المقيمين»، فقيل : هم الملائكة ، وقيل : هم الأنبياء، وقيل: هم المسلمون ويكون على حذف مضاف أي : وبدين المقيمين(١).

الثالث: أنه معطوف على « قبل» أي: ومن قبل المقيمين، فحذف « قبل» وأقيم المضاف إليه مقامه(٢).

الرابع: أنه معطوف على الكاف في «قبلك» ، أي: ومن قبل المقيمين، ويعني بهم الأنبياء(٣).

الخامس: أنه معطوف على الكاف في « إليك» ، أي: يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، وهم الأنبياء(٤) .

السادس: أنه معطوف على الضمير في «منهم» أي: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة (٥).

=

١٠٨/١١ .

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٣٠/٢، والمحرر الوجيز ١٣٦/٢ لابن عطية ت٥٤٦هـ– رأى أنهم هم الملائكة – ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت– ط الأولى ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١، والتفسير الكبير ١٠٨/١١ رأى أنهم هم الأنبياء، والتبيان في إعراب القرآن ٢٠٢/١ لأبي البقاء العكبري ت ٦١٦هـ– رأى أنهم هم الملائكة– المكتبة التوفيقية – القاهرة – دون تاريخ، والبحر المحيط ٤١٢/٣، والدر المصون ١٥٥/٤.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥٠٥/١ ، التبيان في إعراب القرآن ٢٠٢/١، والدر المصون ١٥٥/٤.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥٠٥/١، والمحرر الوجيز ١٣٦/٢ ، والتبيان ٢٠٢/١، والدر المصون ١٥٥/٤.

(٤) ينظر: التبيان ٢٠٢/١ ، والدر المصون ١٥٤/٤.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ١٣٦/٢ ، والبحر المحيط ٤١٢/٣، والدر المصون ١٥٤/٤.

واعترض الزجاج على هذا الوجه، فقال: « وهذا عند النحويين رديء؛ لأنه لا يعطف بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في شعر»[١].

واعترض أبو البقاء على الوجه الرابع والخامس والسادس، فقال: « وهذه الأوجه الثلاثة عندنا خطأ؛ لأن فيها عطف الظاهر على المضمر من غير إعادة الجار»[٢].

هذا: "وقد زعم قوم لا اعتبار بهم أنها لحن ، ونقلوا أنها خطأ من جهة غلط كاتب المصحف »[٣].

ورد هذا القول العلماء ، فقال الزمخشري – مدافعًا عن هذه القراءة– : « ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنًا في خط المصحف»[٤].

وقد سبقه الزجاج فدافع عن القراءة قائلًا: « ... وهذا القول عند أهل اللغة بعيد جدًا؛ لأن الذين جمعوا القرآن أصحاب رسول الله –ﷺ– وهم أهل اللغة وهم القدوة ، وهم قريبوا العهد بالإسلام، فكيف يتركون في كتاب الله شيئًا يصلحه غيرهم ، فهذا مما لا ينبغي أن ينسب إليهم – رحمة الله عليهم– »[٥].

وبعد ، فقد ظهر من خلال ما سبق أن ابن قتيبة – رحمة الله تعالى– كان موفقًا في رده على من ادعى اللحن في القرآن الكريم ، كما ظهر أن القراءة متواترة صحيحة ولها أكثر من توجيه.

والله – تعالى – أعلم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٣١/٢ باختصار يسير .

(٢) التبيان ٢٠٢/١.

(٣) الدر المصون ١٥٥/٤ .

(٤) الكشاف ١٧٨/٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٣١/٢. وينظر : التفسير الكبير ١٠٨/١١ ، والبحر المحيط ٤١١/٣.

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾[١].

أورد ابن قتيبة هذه القراءة أثناء رده على من ادعى اللحن في القرآن الكريم، فقال – موضحًا آراء النحاة في توجيه القراءة – : « وقالوا في قوله – تبارك وتعالى – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾رفع « الصائبين» ؛ لأنه رد على موضع «إن الذين آمنوا» وموضعه رفع ؛ لأن « إنَّ» مبتدأة وليست تحدث في الكلام معنى كما تحدث أخواتها . ألا ترى أنك تقول : زيد قائم ، ثم تقول : إن زيداً قائم ، ولا يكون بين الكلامين فرق في المعنى . وتقول زيد قائم ، ثم تقول : لعل زيدًا قائم، فتحدث في الكلام معنى الشك... ويدلك على ذلك قولهم : إن عبد الله قائم وزيد ، فترفع زيدًا ، كأنك قلت : عبد الله قائم وزيد ، وتقول : لعل عبد الله قائم وزيدًا ، فتنصب مع « لعل» وترفع مع « إن» لما أحدثته «لعل» من معنى الشك في الكلام، ولأن « إنَّ» لم تحدث شئيًا. وكان الكسائي يجيز : إن عبد الله وزيدٌ قائمان ، وإن عبد الله وزيد قائم . والبصريون يجيزونه ، ويحكون : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾[٢]

(١) سورة المائدة من الآية ٦٩ . وقرأ : ابن مسعود وأبي وعثمان وابن كثير وسعيد بن جبير وابن محيصن والجحدري « والصابئين» . ينظر: الكشاف ٢٧٤/٢، والتفسير الكبير ٥٥/١٢، والبحر المحيط ٥٤١/٣، والدر المصون ٣٦٢/٤، ومعجم القراءات٢٣٠/٢ . وهي واضحة التوجيه عطفًا على لفظ اسم «إن» . ينظر: الدر المصون ٣٦٢/٤.

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٥٦ .

وينشدون:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيارٌ بها لغريبُ[1]»[2]

توجيه القراءة :

وجهت القراءة بالتوجيهات الآتية :

الأول: أن « الصابئون» مرفوع بالابتداء محمول على التأخير، والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك. وإليه ذهب البصريون[3].

ووافقهم الزمخشري [4].

الثاني: أنه معطوف على محل اسم «إن» وهو «الذين».

---

(١) البيت من الطويل ، وقائله : ضابئ بن الحارث البُرْجُمي – في الكتاب ٧٥/١ ، وشرح أبيات سيبويه ٣٣٩/١ لابن السيرافي ت٣٨٥هـ– ت.د/محمد الريح هاشم– دار الجيل – بيروت –ط: الأولى ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م ، وخزانة الأدب ٣١٢/١٠ لعبد القادر البغدادي ت ١٠٩٣– ت/ عبد السلام محمد هارون– مكتبة الخانجي بالقاهرة –ط الرابعة ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

الرواية في البيت: روى وقيارًا . في الكتاب ٧٥/١. ولكن الذي أثبته ابن السيرافي في شرحه لأبيات الكتاب: وقيارٌ . وقال:« ويروى: قيارًا»، وقال البغدادي: أنشد سيبويه البيت : قيار . خزانة الأدب ٢١٧/١٠.

الشاهد في قوله: وقيارٌ. فرفع ولم يعطفه على اسم «إن» . والكوفيون يجيزون العطف على = = = = موضع « إن» قبل تمام الخبر، والبصريون يمنعون ذلك ويجعلونه من باب التقديم والتأخير. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ص١٥٨ للأنباري ت٥٧٧هـ – ت د/ جودة مبروك ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الأولى ، دون تاريخ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٥٢– ٥٣ . باختصار يسير .

(٣) ينظر: الكتاب ١٥٥/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٣/٢، والتفسير الكبير ٥٥/١٢، والدر المصون ٣٥٣/٤.

(٤) الكشاف ٢٧٢/٢. وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٣/٢.

وإلى هذا ذهب الكسائي والفراء ، قال الفراء: « فإن رفع « الصابئين» على أنه عطف على الذين» . « والذين» حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه، فلما كان إعرابه واحدًا وكان نصب «إن» نصبًا ضعيفًا – وضعفه أنه يقع على الاسم ولا يقع على خبره– جاز رفع «الصابئين». ولا أستحب أن أقول: إن عبد الله وزيدٌ قائمان؛ لتبين الإعراب في عبد الله . وقد كان الكسائي يجيزه لضعف «إنَّ» »[١].

وجنح الأخفش نحو هذا المذهب ، فقال: « كأن قوله :« إن الذين آمنوا» في موضع رفع في المعنى ؛ لأنه كلام مبتدأ، لأن قوله : إن زيدًا منطلق وزيد منطلق من غير أن يكون فيه «إنَّ» في المعنى سواء ، فإن شئت إذا عطفت عليه شيئًا جعلته على المعنى، كما قلت: إن زيدًا منطلق وعمرو . ولكنه إذا جعل بعد الخبر فهو أحسن وأكثر»[٢].

كما اختار الفخر الرازي مذهب الفراء .[٣]

واعترض الزجاج على الكسائي والفراء قائلًا: «وهذا التفسير إقدام عظيم على كتاب اللَّه وذلك أَنهم زعموا أن نَصْبَ «إنَّ » ضعيف ؛لأنها إنما تغيِّرُ الاسم ولا تغير الخبرَ، وهذا غلط لأن « إنَّ » عملت عَمَلَيْن النَصْبَ، والرفع، ولَيْسَ في العربية ناصب ليس معه مرفُوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلا فيما لم يسم فاعله، وكيف يكون نصب «إنَّ »

(١) معاني القرآن ٣١١/١. وينظر معاني القرآن للكسائي ص١٢٥.

(٢) معاني القرآن ٢٨٥/١ للأخفش ت٢١٥هـ– ت د/ هدى محمد قراعة – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط الأولى ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.

(٣) التفسير الكبير ٥٥/١٢ .

ضعيفاً، وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها. نحو قوله – تعالى – : ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[١] ونَصْبُ «إِنَّ» مِنْ أَقْوَى المنْصوبَاتِ»[٢].

كما اعترض الزمخشري على العطف على محل «إِنَّ» واسمها قبل مجيء الخبر، فقال: « لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر »[٣] .

ولكن الفخر الرازي ضعَّف هذا الكلام[٤] .

الثالث: أنه معطوف على الضميرِ في قوله تعالى : «هادوا».

وهو قول الكسائي ويجعله من قوله تعالى :﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[٥] لا من اليهودية[٦].

ورَدَّ ذلك الفراء فقال: «وجاء التفسيرُ بغير ذلك؛ لأنَّه وصف الذين آمنوا بأفواهِهم ولم تؤمِنْ قلوبُهم، ثم ذَكَر اليهود والنصارى فقال: مَنْ آمنَ منهم فله كذا، فجعَلَهم يهوداً ونصارى»[٧].

الرابع: أنه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف إلا أنه لا ينوي به التأخير[٨].

وضعفه أبو البقاء العكبري، فقال: « وهو ضعيف– أيضًا– لما فيه من لزوم الحذف والفصل»[٩].

---

(١) سورة المائدة من الآية ٢٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩٢/٢ – ١٩٣ .

(٣) الكشاف ٢٧٣/٢. وينظر : التبيان في إعراب القرآن ٢٢٢/١.

(٤) التفسير الكبير ٥٦/١٢ .

(٥) سورة الأعراف من الآية ١٥٦ .

(٦) ينظر: معاني القرآن للكسائي ص١٢٥ ، ومعاني القرآن للفراء ٣١٢/١ .

(٧) معاني القرآن ٣١٢/١، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٤/٢، والدر المصون ٣٥٦/٤.

(٨) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٢٢/١.

(٩) السابق ٢٢٢/١. وينظر: الدر المصون ٣٦٠/٤ .

الخامس: أن « إنَّ» بمعنى نعم، وما بعدها مرفوع بالابتداء[١].

واعترض أبو حيان قائلًا: « وهذا ضعيف؛ لأن ثبوت «إنَّ» بمعنى نعم فيه خلاف بين النحويين، وعلى تقدير ثبوت ذلك من لسان العرب، فتحتاج إلى شيء يتقدمها، يكون تصديقًا له»[٢].

ووافقه السمين في اعتراضه، غير أنه قال: « ولقائل أن يقول: يجوز أن يكون ثَمَّ سؤال مقدر»[٣].

السادس: أن «الصابئون» منصوب، وقد جاء على لغة بلحرث الذين يجعلون التثنية بالألف على كل حال، والجمع بالواو على كل حال[٤].

وضعَّفه أبو البقاء[٥] والسمين[٦].

السابع: أن يجعل النون حرف الإعراب، وعلامة النصب فتحة النون[٧].

وبعد. فقد ظهر مما سبق أن ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– كان موفقًا في دفاعه عن هذه القراءة ، فهي قراءة متواترة صحيحة ، ولها أكثر من توجيه صحيح.

والله – تعالى – أعلم

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٢١٩/٢ ، والتبيان ٢٢٢/١.
(٢) البحر المحيط ٥٤١/٣ .
(٣) الدر المصون ٣٥٦/٤ .
(٤) ينظر: التبيان ٢٢٢/١ .
(٥) السابق ٢٢٢/١ .
(٦) الدر المصون ٣٦٠/٤ .
(٧) التبيان ٢٢٢/١ .

قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾[1]

قال ابن قتيبة : «وذهب أهل القدر في قول الله –عزّ وجل–: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾[2] إلى أنه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة، ولهم بالهداية.

وقال فريق منهم: يضلّهم: ينسبهم إلى الضلالة، ويهديهم: يبيّن لهم ويرشدهم.

فخالفوا بين الحكمين، ونحن لا نعرف في اللغة أَفْعَلتُ الرجل: نسبته. وإنما يقال –إذا أردت هذا المعنى–: فَعَّلْتُ؛ تقول: شجَّعت الرجل وجبَّنتَه وسرَّقته وخطَّأته، وكفَّرته وضلَّلته وفسَّقته وفجَّرته ولحَّنته. وقرىء: «إِنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ»[3] ، أي: نسب إلى السّرق.

ولا يقال في شيء من هذا كله: أَفْعَلته، وأنت تريد نسبته إلى ذلك.

وقد احتج رجل من النحويين –كان يذهب إلى القدر – لقول العرب: كذَّبت الرجل وأكذبته– بقول الله –تعالى–: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ و«لا يُكْذِبُونك»، وذكر أنّ أكذبت وكذّبت جميعًا، بمعنى: نسبت إلى الكذب.

وليس ذاك كما تأوّل، وإنما معنى أكذبت الرجل: ألفيته كاذبا.

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٣٣. وقُرِئ : " لا يُكْذِبُونك " وسبق تخريج القراءة .

(٢) سورة النحل من الآية ٩٣ ، وسورة فاطر من الآية ٨.

(٣) سورة يوسف من الآية ٨١ . قال أبو حيان: « وقرأ الجمهور: « سَرَقَ» ثلاثيًا مبنيًا للفاعل إخبارًا بظاهر الحال، وقرأ ابن عباس وأبو رزين والكسائي – في رواية – : «سُرِّق» بتشديد الراء مبنيًّا للمفعول، لم يقطعوا عليه بالسرقة، بل ذكروا أنه نسب إلى السرقة». البحر المحيط ٣٣٢/٥ ، وينظر: معجم القراءات ١٨٦/٣.

وقول الله –تبارك وتعالى–: «فَإِنَّهُمْ لا يُكْذِبُونَكَ» بالتخفيف أي: لا يجدونك كاذبا فيما جئت به، كما تقول: أَبْخَلْت الرجل وأَجْبَنْتُه وأَحْمَقْته، أي: وجدته جبانًا بخيلًا أحمقَ.

وقال عمرو بن معد يكرب لبني سليم: قاتلناكم فما أَجْبَنَّاكم، وسَأَلْناكم فما أَبْخَلْنَاكم، وهَجَوْنَاكُمْ فَمَا أَفْحَمْنَاكُمْ، أي: لم نجدكم جبناء، ولا بخلاء، ولا مُفْحَمِين.

وقال الكسائي: العرب تقول: أَكْذَبْت الرجل: إذا أخبرت أنه رواية للكذب، وكَذَّبْته: إذا أخبرت أنه كاذب. ففرق بين المعنيين.

واحْتُجَّ –أيضًا– لأفعلت في معنى نسبت، بقول ذي الرّمة –يصف ربعًا– :

وأسْقيه حتّى كاد ممّا أبثّه تكلّمني أحجاره وملاعبه(١)

وتأوّل في أَسْقِيه معنى أسقِّيه من طريق النّسبة.

ولا أعلم له في هذا حجّة؛ لأنا نقول: قد أرعى الله هذه الماشية، أي: أنبت لها ما ترعاه، فكذلك تقول: أسقى الله الربع، أي: أنزل عليه مطرًا يسقيه، وأنا أرعى الماشية، وأسقي الربع، أي أدعو لها بالمرعى، وله بالسُّقيا.

واحتج آخر ببيت ذكر أنه لطرفة:

وما زال شُرْبي الرّاحَ حتّى أشرّني صديقي وحتّى ساءني بعضُ ذلك(٢)

---

(١) البيت من الطويل، وقائله : ذو الرمة في ديوانه ٨٢١/٢ برواية ثعلب – ت د/ عبد القدوس أبو صالح – مؤسسة الإيمان – بيروت – دون تاريخ.

روي: وأُشْكِيه . في لسان العرب ٢٢١٤/٤ [شكا] ، لابن منظور – دار المعارف – القاهرة – دون تاريخ .

الشاهد في قوله : وأسقيه . استشهد به بعضهم على أن أَفْعَل تفيد النسبة كفعَّل.

والصواب أنها تفيد الدعاء . ينظر: الكتاب ٥٨/٤– ٥٩ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو من الأبيات المنفردة المنسوبة لطرفة. ينظر: ديوانه ص١٥٧ بشرح الأعلم الشنتمري. طبع في مدينة شالون على نهر سون بمطبع برطرند – ١٩٠٠م.

=

وتوهّم أن قوله: أشرّني، نسبني إلى الشرّ.

وليس ذاك كما تأوّل، وإنما أراد شهرني وأذاع خبري، من قولك: أَشْرَرْتُ الأقِط وشرّرته، إذا بسطته على شيء ليجف. وقال الشاعر -وذكر يوم صفّين-:

وحتى أُشِرّت بالأَكُفِّ المصاحفُ(١)

يريد: شُهِرَتْ وأُظْهِرَتْ»(٢).

توجيه القراءة – أي قراءة التخفيف – :

وجهت القراءة بما يأتي :

الأول: أن هناك فرقًا بين قراءة التشديد وقراءة التخفيف .

« حكى الكسائي أن العرب تقول : كذَّبت الرجل إذ نسبت إليه الكذب، وأكذبته إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به دون أن تنسبه إليه، وتقول العرب – أيضاً- : أكذبت الرجل إذا وجدته كذاباً، كما تقول : أحمدت الرجل إذا وجدته محموداً»(٣).

=

الشاهد في قوله : أشَرَّني . استشهد به بعضهم على أن [أَفْعَل] تفيد النسبة كفَعَّل.

ولكن ابن قتيبة تأوله على معنى غير ذلك .

(١) البيت من الطويل ، وتمامه :

فمـــا برحـــوا حتـــى الله صـــبرهم وحتـــى أُشِـــرَّتْ بـــالأكفِّ المصـــاحفُ

قائله: كعب بن جُعيل ، وقيل: الحصين بن الحُمام المرِّي . ينظر: لسان العرب ٤/٢٢٣٣ [شرر].

الشاهد في قوله: أشرَّت . استشهد به ابن قتيبة على أنه بمعنى شُهرت وأُظهرت.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص١٢٣- ١٢٦ .

(٣) معاني القرآن للكسائي ص١٣٠ .

ووافقه الفراء فقال: «ومعنى التخفيف– والله أعلم–: لا يجعلونك كذَّابًا، وإنَّما يريدونَ أن ما جئت بِهِ باطل؛ لأنهم لَمْ يجرّبوا عَلَيْهِ – ﷺ– كذبًا فيكذبوه وإنَّما أكذبوه ، أي: ما جئت بِهِ كذب لا نعرفه»(١).كما وافقه الزجاج(٢).

وقال أبو علي الفارسي : « ويجوز « لا يُكْذِبونك» لا يصادفونك كاذبًا»(٣) .

وقال أبو حيان: « فعلى القول بالفرق يكون معنى التخفيف : لا يجدونك كاذبًا ، أو لا ينسبون الكذب إليك»(٤).

الثاني: أن معنى القراءتين واحد ، وهو النسبة إلى الكذب.

وقد أجازه أبو علي ، فقال: « ... فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحدًا ، وإن اختلف اللفظان ، إلا أن فَعَّلت إذا أراد أن ينسبه إلى أمر أكثر من أَفْعَلت»(٥).

وهو ثاني قولين ذكرهما الفخر الرازي(٦) ، وأحد وجهين أوردهما أبو البقاء العكبري(٧).

قال أبو حيان: «وَعَلَى مَعْنَى التَّشْدِيدِ، يَكُونُ إِمَّا خَبَرًا مَحْضًا عَنْ عَدَمِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، وَيَكُونُ مِنْ نِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَى كُلِّهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ بَعْضُهُمْ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ قَطْعًا أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يُكَذِّبُهُ، وَيُكَذِّبُ مَا جَاءَ بِهِ، وَإِمَّا أَنْ

(١) معاني القرآن ٣٣١/١ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٢/٢ . وينظر : الكشاف ٢/ ٣٣٩ .
(٣) الحجة للقراء السبعة ٣٠٣/٣ ، وينظر : التبيان في إعراب القرآن ٢٤٠/١ .
(٤) البحر المحيط ١١٦/٤، وينظر: الدر المصون ٦٠٤/٤.
(٥) الحجة ٣٠٢/٣ – ٣٠٣ .
(٦) التفسير الكبير ٢١٤/١٢ .
(٧) التبيان ٢٤٠/١ .

يَكُونَ نَفْيُ التَّكْذِيبِ لِانْتِفَاءِ مَا يترتب عليه من الْمَضَارِّ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: لَا يُكَذِّبُونَكَ تَكْذِيبًا يَضُرُّكَ. لِأَنَّكَ لَسْتَ بِكَاذِبٍ، فَتَكْذِيبُهُمْ كَلَا تَكْذِيبٍ»[1].

وبعد . فقد ظهر من خلال ما سبق أن بعض العلماء قد ذهب إلى أن هناك فرقًا بين قراءة التخفيف وقراءة التشديد، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة واختاره.

كما ظهر أن بعضهم قد أجاز أن تكون القراءتان بمعنى واحد ، كأبي علي الفارسي ، الذي قال « ويؤكّد أن القراءتين بمعنًى، أنّهم قالوا: قلّلت وكثّرت، وأقللت وأكثرت بمعنى، حكاه سيبويه»[2].

ومن ثم فيبدو أنه لا مانع من مجيء أفعلت في معنى فَعَّلت، ولكن من قال بأن هناك فرقًا بين القراءتين يعضده أن هذا الاختلاف يؤدي إلى إثراء المعنى وهو أوفق إلى روح القراءات القرآنية.

والله – تعالى – أعلم

(١) البحر المحيط ١١٦/٤ ، وينظر: المحرر الوجيز ٢٨٥/٢ – ٢٨٦.

(٢) الحجة ٣٠٣/٣ . وينظر : الكتاب ٦٢/٤ .

قوله تعالى : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١].

أورد ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– هذه القراءة شاهدًا على زيادة «لا» ، فقال: «وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يريد: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، فزاد (لا) لأنهم لا يؤمنون إذا جاءت.

ومن قرأها بكسر «إنّ»، فإنه يجعل الكلام تامًا عند قوله: ﴿وَما يُشْعِرُكُمْ﴾ ثم يبتدئ فيقول: «إِنَّها إذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ». [٢].

توجيه قراءة : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾:

اختلف في توجيه هذه القراءة :

الأول: أن « أنَّ» بمعنى «لعل ».

وإليه ذهب الخليل وسيبويه، قال سيبويه: « قال الخليل: هي بمنزلة قول العرب: ائت السوق أنك تشتري لنا شيئًا، أي: لعلك»[٣].

وأجازه الفراء واصفا إياه بأنه وجه جيد، فقال: « وهي في قراءة أُبَيّ: «لعلها إِذَا جاءتهم لا يؤمنون»، وللعرب فِي (لعلّ) لغة بأن يقولوا: ما أدري أنك صاحبها، يريدون: لعلك صاحبها، ... وهو وجه جيد أن تَجعل (أَنَّ) فِي موضع لعل»[٤].

واختاره الزجاج[٥]، واستظهره السمين الحلبي قائلًا: « قالوا: ويدل على ذلك أنها في مصحف أُبَيّ وقراءته: «وما أدراكم لعلَّها إذا جاءت لا يؤمنون» ونُقِلَ

(١) سورة الأنعام : من الآية ١٠٩. وقُرِئ : " إنها إذا جاءت لا يؤمنون " وسبق تخريجها .
(٢) تأويل مشكل القرآن ٢٤٤ .
(٣) الكتاب ١٢٣/٣ .
(٤) معاني القرآن ٣٥٠/١، وينظر: الكشاف ٣٨٧/٢، والبحر المحيط ٢٠٤/٤ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٣/٢، وينظر: إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٩٠/٢ .

عنه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ لعلها إِذَا جَآءَتْ﴾ ورجَّحوا ذلك – أيضاً – بأنَّ «لعل» قد كَثُرَ وجودها في مثل هذا التركيب كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الساعة قَرِيبٌ﴾[1]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزكى﴾[2]»[3].

وهو أحد وجهين ذكرهما الفخر الرازي[4]، وأحد وجوه أوردها أبو البقاء العكبري[5].

وأما أبو علي الفارسي فقد أجازه وصححه – في الحجة– فقال: « ... ويدل على صحة ذلك وجودته في المعنى: أنه قد جاء في التنزيل لعل بعد العلم، وذلك قوله: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَى﴾ ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، فكما جاء (لعلّ) بعد العلم، كذلك يكون ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ ﴾ بمنزلة: لعلّها إذا جاءت »[6].

ولكنه في كتاب الإغفال ، قرر أن حمل « أنَّ» على معنى (لعل) غير ممتنع ، ولكنه يرى أن حملها على غير ذلك في الآية أعجب إليه، فقال: « فإن جعلها على غير هذا الوجه أعجب إلي، ألا ترى أنها إذا حملت على معنى «لعل» كانت مخالفة لقراءة من كسر «إنَّ» في المعنى ، ولا تطابق –أيضًا– ما

(١) سورة الشورى : من الآية ١٧ .
(٢) سورة عبس : الآية ٣ .
(٣) الدر المصون ١٠٣/٥ باختصار يسير .
(٤) التفسير الكبير ١٥١/١٣– ١٥٢ .
(٥) التبيان ٢٥٧/١.
(٦) ٣٨٠/٣ .

بعدها من الآية المعلم فيها أنهم لا يؤمنون، والإعلام بأنهم لا يؤمنون في الآية وفي من كسر «إنَّ» إعلام ثابت لا ترجِّي فيه ولا توقع»[١].

القول الثاني: أن «لا» زائدة .

ذهب إلى هذا الكسائي[٢]، وتبعه الفراء[٣]، وأجازه أبو علي الفارسي[٤].

وهو ثاني وجهين ذكرهما الفخر الرازي[٥]، وثاني أوجه أوردها أبو البقاء العكبري[٦]، والسمين الحلبي[٧].

وعلل ابن عطية هذا القول ، فقال : « لأنها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذرًا للكفار وفسد المراد بالآية »[٨].

واعترض الزجاج على أصحاب هذا القول ، فقال: « والذي ذكر أن " لا " لَغْوٌ غَالِطٌ؛ لأن ما كان لغواً لا يكون غير لغو. من قرأ: «إنها إذا جاءَت» – بكسر إنَّ – فالإجماع أن "لا" غير لغو، فليس يجوز أن يكون معنى لفظةٍ مرةً النفي ومرة الإيجاب »[٩].

---

(١) ١٩٧/٢– ١٩٨ تحقيق د/ عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم – أبو ظبي – المجمع الثقافي – دبي– ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م . وينظر: المحرر الوجيز ٣٣٤/٢ ، والبحر المحيط ٢٠٤/٤.

(٢) معاني القرآن للكسائي ص١٣٥ .

(٣) معاني القرآن ٣٥٠/١ .

(٤) الحجة ٣٨٠/٣ ، والإغفال ١٩٩/٢ .

(٥) التفسير الكبير ١٥٢/١٣ .

(٦) التبيان ٢٥٧/١ .

(٧) الدر المصون ١٠٤/٥ .

(٨) المحرر الوجيز ٣٣٣/٢ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٣/٢ ، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٩٠/٢ .

وأجاب أبو علي الفارسي على اعتراض الزجاج ، فقال:« ... وإنما كان يكون هذا المتأول لزيادة «لا» هنا غالطًا لو قال في التأويل الذي لا يحتمل أن تكون فيه لغوًا: إنه لغو. فأما إذا اختلف التأويلان فلا ينكر أن يختلف اللفظان، بل هذا هو الأخلق. ولهذا القائل أن يقول: إن قولي بزيادة «لا» وحكمي بلغوها صواب إذا كانت القراءتان على هذا التأويل يتعاضدان ويتفقان فلا يختلفان؛ ألا ترى أنك إذا حكمت بلغوها كان المعنى : وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، أي هم لا يؤمنون إذا جاءتهم . وهذا التأويل كقراءة من كسر ، فقال: « إنها إذا جاءت لا يؤمنون» »[١] .

القول الثالث: أن الفتح على تقدير لام العلة ، والتقدير : إنما الآيات التي يقترحونها عند الله ؛ لأنها إذا جاءت لا يؤمنون ، و«وما يشعركم» اعتراض، وصار المعنى : إنما الآيات عند الله أي المتقرحة لا يأتي بها لانتفاء إيمانهم وإصرارهم على كفرهم عند ورودها.

أجاز هذا الوجه أبو علي[٢].

القول الرابع: أن في الكلام حذف معطوف على ما تقدم ، قال أبو جعفر النحاس: «وقيل: في الكلام حذف ، والمعنى: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون؟ ثم حُذف هذا لعلم السامع»[٣].

« وقدره غيره: ما يشعركم بانتفاء الإيمان أو وقوعه»[٤].

واعترض على ذلك ابن عطية، فقال: « وهذا قول ضعيف لا يعضده لفظ الآية ولا يقتضيه»[٥].

---

(١) الإغفال ٢٠٠/٢ ، وينظر: الحجة ٣٨٠/٣ – ٣٨٢ .

(٢) الإغفال ١٩٩/٢ . وينظر: البحر المحيط ٢٠٤/٤ ، والدر المصون ١٠٥/٥ .

(٣) معاني القرآن ٤٧٤/٢ .

(٤) الدر المصون ١٠٦/٥ .

(٥) المحرر الوجيز ٣٣٤/٢ .

[٤] الدر المصون ٥/ ١٠٦ .

القول الخامس: " أن «لا» غير مزيدة ، وليس في الكلام حذف بل المعنى: وما يدريكم انتفاء إيمانهم ، ويكون هذا جوابًا لمن حكم عليهم بالكفر أبدًا ويئس من إيمانهم ". [٤]

وقال الزمخشري: « وما يدريكم أن الآية – التي تقترحونها– «إذا جاءت لا يؤمنون» يعني: أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها، وأنتم لا تدرون بذلك»[١].

واختاره أبو حيان قائلًا: « ... وهذا واضح سائغ أي: وما يشعركم ويدريكم بمعرفة انتفاء إيمانهم ، لا سبيل لكم إلى الشعور بها»[٢].

وأما قراءة : « وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون»:

فوجهت على أن كسر الهمزة على الاستئناف والتقدير : أن الكلام تم عند قوله تعالى : «وما يشعركم » أي: وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال : « إنها إذا جاءت لا يؤمنون»[٣].

وقد فضلها الزجاج ، فقال: « والكسر أحسنها وأجودها»[٤]. وتبعه الفخر الرازي[٥].

وبعد، فقد ظهر مما سبق أن قراءة «أنها»: قد ورد فيها أكثر من توجيه، ولكن النفس لا ترتاح إلى ما ذهب إليه الكسائي والفراء وابن قتيبة ومن تبعهم من

---

(١) الكشاف ٣٨٧/٢ باختصار يسير . وينظر: الدر المصون ١٠٦/٥ .

(٢) البحر المحيط ٢٠٤/٤– ٢٠٥ باختصار يسير .وينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٥٧/١ .

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٥٠/١ ، الكشاف ٣٨٧/٢ ،والبحر المحيط ٢٠٣/٤ – ٢٠٤ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٣/٢ .

(٥) التفسير الكبير ١٥١/١٣ .

القول بالزيادة، وذلك لأن كل حرف جاء في القرآن الكريم إنما جاء لمعنى، وما دام قد جاء لمعنى فكيف يمكن القول بزيادته ؟!

كما أن النفس لا ترتاح إلى ما ذهب إليه الزجاج والفخر الرازي من المفاضلة بين القراءتين، فكلاهما قراءتان متواترتان صحيحتان ، فلا ينبغي المفاضلة بينهما.

والله – تعالى – أعلم.

قوله تعالى : ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ ﴾[١]

استشهد ابن قتيبة بقراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه– : « تمامًا على الذين أحسنوا»[٢] على تقوية أحد تأويلات قراءة : « تمامًا على الذي أحسن» ، فقال: «في سورة الأنعام: ﴿ ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾. أراد: آتينا موسى الكتاب تمامًا على المحسنين، كما تقول: أوصي بمالي للذي غزا وحج، تريد الغازين الحاجّين، ويكون " الذي " في موضع (من) كأنه قال: تمامًا على من أحسن. والمحسنون: هم الأنبياء– صلوات الله عليهم أجمعين– والمؤمنون.

و «على» في هذا الموضع بمعنى (لام الجر) كما يقال: أتمّ الله عليه وأتمّ له. قال الرّاعي:

رعته أشهرا وخلا عليها فطار النّيّ فيها واستغارا[٣]

أراد: وخلا لها.

وتلخيصه: آتينا موسى الكتاب تتميما منّا للأنبياء وللمؤمنين– الكتب – "وَتَفْصِيلًا" منّا " لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً " .

وقد يكون أن تجعل " الذي " بمعنى (ما) أي آتينا موسى الكتاب تماما على ما أحسن من العلم والحكمة وكتب الله المتقدمة. وأراد بقوله: « تَماماً» على ذلك، أي زيادة على ذلك.

---

(١) سورة الأنعام : من الآية ١٥٤ .

(٢) سبق تخريج القراءة .

(٣) البيت من الوافر ، وقائله الراعي النميري، ينظر: اللسان ٣٣١٥/٥ (غور) ، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ٧٧/٣.

ومعنى: استغار في البيت: أي : اشتد وصلب يعني شحم الناقة ولحمها إذا اكتنز.

الشاهد في قوله : خلا عليها، حيث جاءت (على) بمعنى لام الجر.

والتأويل الأول أعجب إليّ، لأنه في مصحف عبد الله: «تمامًا على الذين أحسنوا». وفي هذا ما دل على ذلك التأويل.

وقد ينصرف – أيضًا– إلى معنى آخر، كأنه قال: آتيناه الكتاب إتماما منّا للإحسان على من أحسن»[١].

توجيه قراءة : « تمامًا على الذي أحسن » :

اختلف في توجيه القراءة على أقوال :

الأول: أن معناه : تمامًا على المحسنين. ويقويه قراءة عبد الله بن مسعود– رضي الله تعالى عنه– : « تمامًا على الذين أحسنوا».

أجازه الكسائي[٢]، ووافقه الفراء[٣]، والزجاج[٤]، والزمخشري[٥]، واختاره ابن عطية[٦].

الثاني: أن «الذي» بمعنى (ما) أي: تمامًا على ما أحسن موسى.

أجازه الفراء[٧]، والزجاج [٨]، والزمخشري[٩]. واختاره الطبري[١٠].

القول الثالث: أن «الذي» مصدرية، فيكون « الذي أحسن» بمعنى إحسان.

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص٣٩٧– ٣٩٨ .

(٢) معاني القرآن للكسائي ص١٣٩ .

(٣) معاني القرآن ٣٦٥/١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٦/٢.

(٥) الكشاف ٤١٤/٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٣٦٤/٢ . وينظر: التفسير الكبير ٥/١٤ .

(٧) معاني القرآن ٣٦٥/١ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٦/٢ .

(٩) الكشاف ٤١٤/٢ . وينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٦٦/١، والبحر المحيط ٢٥٥/٤.

(١٠) تفسير الطبري ٣٣٦/١٢ .

واختلف أصحاب هذا القول حول الضمير في «أحسن»، فقيل: يعود على الله – تعالى–، وقيل: يعود على موسى– على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام– .

أي: تمامًا على إحسان الله – تعالى– إلى أنبيائه أو إلى موسى – عليه السلام– أو إلى عباده من النبوءات والنعم وغير ذلك.

أو تمامًا على إحسان موسى بطاعتنا وقيامه بأمرنا ونهينا، أو إحسان موسى إليهم(١).

وبعد فقد ظهر من خلال ما سبق أن للقراءة أكثر من توجيه ، ويبدو أن التأويل الذي اختاره ابن قتيبة هو الأقوى، وأما اعتراض الطبري بقوله : « لا دليل عليه في الكلام»(٢).

فيجاب عليه بأن قراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه – تؤيده وتقويه.

ويحسب لابن قتيبة – رحمه الله تعالى– حسن استشهاده بهذه القراءة .

والله – تعالى – أعلم

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢٣٦/١٢، والمحرر الوجيز ٣٦٤/٢ ، والبحر المحيط ٢٥٥/٤ ، والدر المصون ٢٢٧/٥ .

(٢) تفسير الطبري ٢٣٧/١٢ .

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ ﴾[1]

أورد ابن قتيبة قراءة : " فلا تَشْمِتْ بي الأعداءَ " في صدد اتهامه لبعض القراء بالغلط والوهم ، فقال: « وقرأ آخر: ﴿ فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ ﴾ بفتح التاء، وكسر الميم، ونصب «الأعداء». وإنما هو من: أَشْمَتَ الله العدوَّ فهو يُشْمِتُه، ولا يقال: شَمِتَ الله العدوَّ»[2].

توجيه القراءة :

وجهت القراءة بأكثر من توجيه :

الأول: أن تكون لغة ، فيكون شَمِتُّه أَشْمتُه ، أي فعلتُ فعلًا ، يوجب الشمات ، مثل: سَخِطْتُه أَسْخَطه .

وهو قول أبي البقاء العكبري [3].

الثاني: أن شَمِت أو شَمَت بكسر الميم وفتحها متعدٍ بنفسه كـ أشمت الرباعي ، يقال: شمت بي زيدٌ العدوَّ ، كما يقال: أَشْمَتَّ بي العدو.

وهو اختيار السمين الحلبي[4] .

وبعد . فقد ظهر مما سبق أن القراءة لها أكثر من توجيه مقبول، فلا ينبغي ردها ، ومن ثم فقد جانب ابن قتيبة الصواب في رده لهذه القراءة .

والله – تعالى – أعلم

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٠ . وقُرِئ :" فلا تَشْمِتْ بي الأعداءَ " وسبق تخريجها .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٦١ .

(٣) إعراب القراءات الشواذ ٥٦٤/١ ت محمد السيد عزوز– عالم الكتب– دون تاريخ.

(٤) الدر المصون ٤٦٩/٥ . وينظر: البحر المحيط ٣٩٥/٤ .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴾[١]

أورد ابن قتيبة هذه القراءة في صدد اتهامه لبعض القراء بالغلط والوهم، فقال: « وقرأ حمزة. « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ بالياء. ولو أريد بها الوجه الذي ذهب إليه لكانت : (ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنهم سبقوا إنهم لا يعجزون) »[٢].

توجيه القراءة :

اختلف في توجيه القراءة :

الأول: أن الفعل مسند إلى ضمير يفسره السياق تقديره: ولا يحسبن هو .

أجازه الزجاج[٣] ، وأبو علي الفارسي[٤]، وأبو جعفر النحاس[٥].

وإليه ذهب ابن عطية[٦] وأبو حيان[٧] . وهو ثاني أوجه ذكرها الفخر الرازي[٨].

وأحد وجهين ذكرهما أبو البقاء العكبري[٩]، وأحد أوجه أوردها السمين الحلبي[١٠].

قال ابن عطية: « ويكون قوله : « الذين كفروا» مفعولًا أولًا، و«سبقوا» مفعولًا ثانيًا»[١١].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٩ . سبق تخريج القراءة .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٦٣ –٦٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤٢١/٢ .

(٤) الحجة ١٥٥/٤.

(٥) إعراب القرآن ١٩٢/٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٥٤٤/٢ .

(٧) البحر المحيط ٥٠٥/٤ .

(٨) التفسير الكبير ١٩٠/١٥ .

(٩) التبيان ٩/٢ .

(١٠) الدر المصون ٦٢٣/٥ .

(١١) المحرر الوجيز ٥٤٤/٢ .

الثاني: أن يكون « الذين كفروا» هو الفاعل ، ويكون المفعول الأول مضمرًا ، و« سبقوا» مفعول ثانٍ ، وتقدير هذا الوجه : ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا .

أجازه أبو علي الفارسي[١]، وابن عطية[٢].

وهو ثالث أوجه ذكرها الفخر الرازي[٣]، وثاني وجهين ذكرهما أبو البقاء العكبري[٤].

الثالث: أن يكون « الذين كفروا» هو الفاعل وتضمر « أن » فيكون التقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا . وتسد أن سبقوا مسد المفعولين .

أجازه أبو علي الفارسي[٥]، وابن عطية[٦]، وأحد أوجه ذكرها الفخر الرازي[٧].

وأجازها الزجاج على ضعف، فقال: «وَوَجهها ضعيف عند أهل العربية إلا أنَّها جائزة على أن يكون المعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا، لأنها في حرف ابن مسعود :«أنهم سبقوا»[٨] »[٩].

واعترض أبو البقاء على هذا الوجه، فقال: « وهو بعيد؛ لأن أن المصدرية موصولة، وحذف الموصول ضعيف في القياس شاذ في الاستعمال»[١٠].

---

(١) الحجة ١٥٥/٤ .

(٢) المحرر الوجيز ٥٤٤/٢ .

(٣) التفسير الكبير ١٩٠/١٥ .

(٤) التبيان ٩/٢ . وينظر: الدر المصون ٦٢٣/٥ .

(٥) الحجة ١٥٥/٤ .

(٦) المحرر الوجيز ٥٤٤/٢ .

(٧) التفسير الكبير ١٩٠/١٥ .

(٨) ينظر : معاني القرآن للفراء ٤١٤/١ ، ومعجم القراءات ٤٥٧/٢ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٤٢١/٢ . وينظر: تفسير الطبري ٢٩/١٤ .

(١٠) التبيان ٩/٢ .

هذا. وتجدر الإشارة إلى اعتراض بعض العلماء على هذه القراءة :

فقال الفراء– مع توجيه القراءة على تقدير أن– :« وما أحبها لشذوذها»[١].

وقال الطبري: « وهي قراءة غير حميدة، لمعنيين: أحدهما: خروجها من قراءة القرأة وشذوذها عنها ، والآخر: بعدها من فصيح كلام العرب»[٢].

وقال الزمخشري: « .. وهذه الأقوال كلها محتملة ، وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة »[٣].

ورد عليه أبو حيان قائلًا : «وَلَمْ يَتَفَرَّدْ بِهَا حَمْزَةُ كَمَا ذَكَرَ بَلْ قَرَأَ بِهَا ابْنُ عَامِرٍ وَهُوَ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ سَبَقُوا اللَّحْنَ وَقَرَأَ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ يَزِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ وَعِيسَى وَالْأَعْمَشُ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ تَوْجِيهِهَا عَلَى غَيْرِ مَا نَقَلَ مِمَّا هُوَ جَيِّدٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ فَلَا الْتِفَاتَ لِقَوْلِهِ: وَلَيْسَتْ بِنَيِّرَةٍ»[٤].

وبعد . فقد ظهر مما سبق أن القراءة صحيحة متواترة ، ولها توجيه جيد في العربية ، ومن ثم فابن قتيبة ومن ذهب مذهبه في الاعتراض على هذه القراءة قد جانبهم الصواب.

فالقراءة ما دامت صحيحة السند، فيحتكم بها ويرجع إليها، فإن وافقت الكثير فَيُقاس عليها، وإلا فهي فصيحة ولا يُقاس عليها.

والله – تعالى– أعلم

(١) معاني القرآن ٤١٦/١.

(٢) تفسير الطبري ٢٨/١٤ .

(٣) الكشاف ٥٩٣/٢ .

(٤) البحر المحيط ٥٠٦/٤ .

قوله تعالى : ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾[1].

أورد ابن قتيبة قراءة : " ما تلوته عليكم ولا أدرأتكم به " في صدد اتهامه بعض القراء بالغلط والوهم ، فقال: « قرأ بعض المتقدمين: «ما تلوته عليكم ولا أَدْرَأْتُكُمْ به» فهمز، وإنما هو من دريت بكذا وكذا»[2].

توجيه القراءة :

وُجِّهَت بأكثر من توجيه :

الأول: أن الأصل « أدريتكم» بالياء، وقلبت الياء همزة على لغة من قال: لبأت بالحج، ورثأت زوجي بأبيات ، يريد : لبيت ورثيت .

وهو أحد وجهين أوردهما أبو حيان[3]، ونسب ابن عطية للفراء[4].

قال الفراء : «وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز، فيهمزون غير المهموز ، سمعت امرأة من طيء ، تقول: رثأت زوجي بأبيات ...» [5].

ولكن ما دامت هذه لغة ، فينبغي ألا توصف بالغلط.

الثاني: أن يكون أراد : ولا أدريتكم به ، ثم قلب الياء ألفًا لانفتاح ما قبلها وإن كانت ساكنة كقولهم : في بيئس : يائس أو لغة عقيل أن يقولوا : في أعطيتك : أعطاتك ، ثم همز على لغة من قال في العالم : العألم .

---

(١) سورة يونس من الآية ١٦. وقُرِئ : «ما تلوته عليكم ولا أَدْرَأْتُكُمْ به» وسبق تخريجها .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٦١ .

(٣) البحر المحيط ١٣٧/٥ ، وينظر: الدر المصون ١٦٤/٦.

(٤) المحرر الوجيز ١١٠/٣ .

(٥) معاني القرآن ٤٥٩/١ .

وإليه ذهب ابن جني قائلًا : « فهذا وإن طالت الصنعة فيه، أمثل من أن تعطي اليد بفساده وترك النظر في أمره »[١].

وهو أحد توجيهين ذكرهما السمين الحلبي [٢].

الثالث: أن الهمزة أصلية وأن اشتقاقه من الدَّرء، وهو الدفع.

أجازه أبو جعفر النحاس، على معنى : ولا أمرتكم أن تدفعوا وتتركوا الكفر بالقرآن[٣].

وهو ثاني وجهين أجازهما الزمخشري على معنى : ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني[٤].

كما أنه ثاني وجهين أوردهما أبو حيان[٥] والسمين الحلبي[٦] .

الرابع : احتمال أن يكون فيها لغة سوى دريت وأدريت.

أجاز ذلك الفراء ، فقال: « فإن يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت، فلعل الحسن ذهب إليها»[٧].

(١) المحتسب ٣١٠/١ لابن جني ت٣٩٢هـ– ت علي النجدي ناصف وآخرين – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– القاهرة – ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م . وينظر: المحرر الوجيز ١١٠/٣، والبحر المحيط ١٣٧/٥ .

(٢) الدر المصون ١٦٤/٦ . وينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٦/٢.

(٣) إعراب القرآن ٢٤٩/٢.

(٤) الكشاف ١٢٢/٣ .

(٥) البحر المحيط ١٣٧/٥ .

(٦) الدر المصون ١٦٤/٦. وينظر: التفسير الكبير ٦١/١٧ .

(٧) معاني القرآن ٤٥٩/١ .

هذا . وقد وصف بعضهم هذه القراءة بالغلط، كالطبري ، فقد قال: « وهذه القراءة التي حكيت عن الحسن، عند أهل العربية غلط»[١].

وقال أبو جعفر النحاس: « قال أبو حاتم: سمعت الأصمعي يقول: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قراءة الحسن: « ولا أدرأتكم به» أله وجه؟ قال: لا ، قال أبو عبيد: لا وجه لقراءة الحسن « ولا أدرأتكم به » إلا على الغلط .

معنى قول أبي عبيد – إن شاء الله – على الغلط أنه يقال: دريت أي علمت وأدريت غيري، ويقال : درأت أي دفعت، فيقع الغلط بين دريت وأدريت ودرأت»[٢].

قال الفراء: « ولعل الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته، فهمزها؛ لأنها تضارع درأت الحد وشبهه»[٣].

وهذا اتهام للقارئ ليس في محله.

قال أبو البقاء: « وقيل: هو غلط لأن قارئها ظن أنه من الدرء وهو الدفع ، وقيل: ليس بغلط والمعنى : ولو شاء الله لدفعكم عن الإيمان به»[٤].

وبعد . فقد ظهر أن للقراءة أكثر من توجيه صحيح فلا وجه لردها أو تخطئتها أو وصفها بالغلط، ومن ثم فابن قتيبة ومن وافقه قد جانبهم الصواب. والله – تعالى – أعلم .

(١) تفسير الطبري ٤٣/١٥ .
(٢) إعراب القرآن ٢٤٨/٢ .
(٣) معاني القرآن ٤٥٩/١ .
(٤) التبيان ٢٦/٢ .

قوله تعالى :﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[١]

قال ابن قتيبة :« ولو أن قارئاً قرأ :﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ وترك طريق الابتداء بـ« إنا ».

وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب [أن] بالقول كما ينصبها بالظن ، لقلب المعنى عن جهته ، وأزاله عن طريقته ، وجعل النبي – عليه السلام – محزوناً لقولهم : « إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » وهذا كفر ممن تعمده ، وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به ، ولا يجوز للمأمومين أن يتجوزا فيه »[٢].

ملحوظة مهمة :

مما سبق يتبين أن ابن قتيبة لم يتهم قارئًا معينًا ، كما تبين أن حديثه هذا كان عند تناوله للآية الكريمة التي هي في سورة يس ، ولكن نسب إليه بعض العلماء كلامًا واعترضوا عليه، وذلك عند تناولهم لقوله تعالى :﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٣] . وقد أوردوا قراءة أبي حيوة :« أن العزة »[٤]. .

وهذا يقتضي الحديث عن الآتي :

توجيه قوله تعالى :﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦ ﴾:

---

(١) سورة يس : الآية ٧٦ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٤– ١٥

(٣) سورة يونس : الآية ٦٥ .

(٤) ينظر: مختصر في شواذ القرآن ص ٦٢ ، الكشاف ١٥٨/٣ ، والمحرر الوجيز ١٢٩/٣ ، البحر المحيط ١٧٤/٥ ، والدر المصون ٢٣٣/٦

قال البيضاوي : « وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قُرئ : أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز »[١].

وقال الألوسي : « وشاع أن الوقف على : « قولهم » متعين ، وقيل : ليس به ؛ لأنه جوز في : « إنا نعلم » إلخ كونه مقول القول على أن ذلك من باب الإلهاب والتعريض ، أو على أن المراد « فلا يحزنك قولهم » على سبيل السخرية والاستهزاء « إنا نعلم » إلخ ، ومنه يعلم أنه لو قرأ قارئ : أنا نعلم . بالفتح ، وجعل ذلك بدلاً من « قولهم » لا تنتقض صلاته ولا يكفر لو اعتقد ما يعطيه من المعنى ،كما لو جعله تعليلًا على حذف حرف التعليل ، والحق أن مثل هذا التوجيه لا بأس بقبوله في درء الكفر» [٢].

وقال الشهاب شارحًا قول البيضاوي السابق « وقوله : لو قرئ . أنه لم يقرأ به ، ولكنه جواب لمن قال أنه لا تصح القراءة به مع أنه لا فرق بينهما وقد جوز فيه كونه مقول القول على الكسر وبدلًا منه على الفتح على أنه من باب الإلهاب والتعريض ولا يخفى بعده»[٣].

توجيه قراءة : ﴿ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾:

قال الزمخشري : " استئناف بمعنى : التعليل»[٤].

توجيه قراءة : « أن العزة » :اختُلف في توجيهها :

فقال ابن خالويه :" وله وجه عندي ذهب على ابن قتيبة ، بنصب " أن " بتقدير فعل غير القول ، والتأويل : ولا يحزنك قولهم إنكارهم أن العزة "[٥] .

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢٥٣/٧ . دار صادر – بيروت – دون تاريخ

(٢) روح المعاني إشارة باختصار يسير ٥٢/٢٣– ٥٣ .

(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢٥٣/٧ باختصار يسير .

(٤) الكشاف ١٥٨/٣ . وينظر : البحر المحيط ١٧٤/٥ ، والدر المصون ٢٣٣/٦ .

(٥) مختصر في شواذ القرآن ص ٦٢ .

وذهب الزمخشري إلى أن المعنى : لأن العزة . على صريح التعليل[١] . وصححه أبو حيان[٢] .

هذا . وقد نُسب إلى ابن قتيبة ما لم يقله :

فقال ابن خالويه :« قال ابن قتيبة من فتح « أن » هاهنا فقد كفر »[٣] .

وقال ابن عطية : « وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح «إن » في هذا الموضع وهو كفر ، وقوله : هو كفر . غلو »[٤] .

ونقل أبو حيان كلام ابن عطية خالطاً بينه وبين ما نسبه ابن عطية لابن قتيبة ، فقال : «وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح « إن » في هذا الموضع وهو كفر وغلو»[٥] .

وتابعه تلميذه السمين الحلبي[٦] .

وبعد فقد ظهر من خلال ما سبق أنه لو قُرئ : أنا نعلم . لجاز على حذف لام التعليل ، وقد ظهر أن ابن قتيبة لم يعترض على هذا التوجيه .

كما ظهر أن قراءة أبي حيوة : « أن العزة » لها وجه صحيح ؛ فلا وجه للاعتراض عليها، وقد تبين أن ابن قتيبة لم يتناول هذه القراءة ، وأن ما نسب إليه حول هذه الآية الكريمة لم يقله .

والله – تعالى – أعلم

(١) الكشاف ١٥٨/٣ . وينظر : المحرر الوجيز ١٢٩/٣ .

(٢) البحر المحيط ١٧٤/٥ .وينظر : الدر المصون ٦/ ٢٣٣ .

(٣) مختصر في شواذ القرآن ص ٦٢.وينظر : الكشاف ١٥٨/٣

(٤) المحرر الوجيز ١٢٩/٣

(٥) البحر المحيط ١٧٤/٥

(٦) الدر المصون ٦/ ٢٣٤ .

قوله تعالى : ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾[1]

استشهد ابن قتيبة بقراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه– : «وادعوا شركاءكم»[2] على إيقاع الفعل على شيئين وهو لأحدهما، وإضمار فعل لآخر ، فقال: «ومثله قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: وادعوا شركاءكم، وكذلك هو في مصحف عبد الله»[3].

توجيه قراءة : ﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾:

اختلف في توجيهها على أقوال :

الأول: أن « شركاءكم» منصوب بإضمار فعل ، تقديره : وادعوا شركاءكم.

إليه ذهب الكسائي[4]، ووافقه الفراء[5]، والطبري[6] ، وابن عطية[7] .

وأجازه أبو حيان [8].

وأجازه أبو علي والتقدير عنده: واجمعوا شركاءكم– بوصل الهمزة–[9].

---

(١) سورة يونس من الآية ٧١ . قرأ بها الجمهور . ينظر: السبعة ص٣٢٨، والمحرر الوجيز ١٣١/٣ ، والبحر المحيط ١٧٧/٥ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء ٤٧٣/١ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٢١٣ .

(٤) معاني القرآن للكسائي ص١٥٩ .

(٥) معاني القرآن ٤٧٣/١ .

(٦) تفسير الطبري ١٤٨/١٥ .

(٧) المحرر الوجيز ١٣٢/٣ .

(٨) البحر المحيط ١٧٧/٥ .

(٩) الإيضاح العضدي ١٩٥/١ ت د/ حسن شاذلي فرهود – ط الأولى ١٣٨٩هـ– ١٩٦٩م.

وهو ثالث أوجه أوردها السمين الحلبي[١] .

واعترض الزجاج على هذا الوجه ، فقال: « زعم القراء أن معناه : فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم . وهذا غلط ؛ لأن الكلام لا فائدة فيه؛ لأنهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم، فالمعنى: فأجمعوا أمركم مع شركائكم»[٢].

قال محقق معاني القرآن وإعرابه للزجاج: « والتقدير الأول يستقيم على معنى أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ليجمعوا أمرهم»[٣].

الثاني: أنه مفعول معه، أي : مع شركائكم . وإليه ذهب الزجاج [٤]، والزمخشري[٥]، والفخر الرازي[٦].وهو رابع أوجه أوردها السمين [٧].

قال أبو حيان : « وينبغي أن يكون هذا التخريج على أنه مفعول معه من الفاعل وهو الضمير في « فأجمعوا» لا من المفعول الذي هو « أمركم » »[٨].

واختاره المبرد قائلًا: «الواو في معنى مع ؛ لأنك تقول : أجمعت رأيي وأمري، وجمعت القوم . فهذا هو الوجه»[٩].

ولكن يجاب على هذا القول: أن من قَدَّر فعلًا مضمرًا ، يقدره فعلًا مناسبًا، كما تقدم.

---

(١) الدر المصون ٢٤١/٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٧/٣– ٢٨ .

(٣) السابق ٢٨/٣ حاشية (١) .

(٤) السابق ٢٨/٣ .

(٥) الكشاف ١٦١/٣.

(٦) التفسير الكبير ١٤٤/١٧ .

(٧) الدر المصون ٢٤١/٦ .

(٨) البحر المحيط ١٧٧/٥ . وينظر الدر المصون ٢٤١/٦ .

(٩) الكامل ٤٣٢/١ ، ٨٣٦/٢ ت د/ محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة – دون تاريخ .

الثالث: أنه معطوف على « أمركم» بتقدير حذف مضاف، أي: وأمر شركائكم، وإليه ذهب أبو حيان[١].

قال السمين : « ودلَّ على ذلك ما قدمته من أن (أجمع) للمعاني»[٢].

الرابع: أنه معطوف على « أمركم» من غير تقدير حذف مضاف.

أجازه أبو حيان قائلًا : « لأنه يقال – أيضًا– أجمعت شركائي»[٣].

وهو ثاني أوجه أوردها السمين[٤].

وبعد . فقد ظهر مما سبق أن ما ذهب إليه ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– قد ذهب إليه طائفة من العلماء، وهو وجه صحيح في اللغة، وقد أحسن باستشهاده بقراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه– .

والله – تعالى – أعلم

(١) البحر المحيط ١٧٧/٥ .

(٢) الدر المصون ٢٤٠/٦ .

(٣) البحر المحيط ١٧٧/٥ .

(٤) الدر المصون ٢٤٠/٦ – ٢٤١ .

قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[١]

قال ابن قتيبة : « وأما قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾، ولم يأت بالشيء الذي جعل له الجنة مثلًا. فإن أصل المثل ما ذهبوا إليه من معنى المِثْل، تقول: هذا مِثْل الشيء ومَثَله، كما تقول: هذا شِبْه الشيء وشَبَهُه.

ثم قد يصير المِثْل بمعنى صورة الشيء وصفته، وكذلك المِثال والتّمثال، يقال للمرأة الرّائقة: كأنها مثال، وكأنها تِمْثال، أي صورة، كما يقال: كأنها دُمية، أي صورة، وإنما هي مَثَل، وقد مَثَّلت لك كذا، أي صوَّرته ووصفته.

فأراد الله بقوله: «مَثَلُ الْجَنَّةِ»، أي صورتها وصفتها.

وروي أن عليّا –رحمه الله – كان يقرأ: «مِثَالُ الجنةِ»[٢] أو «أمثال الجنة»[٣]، وهو بمنزلة " مَثَل "، إلا أنه أوضح وأقرب في أفهام الناس إلى المعنى الذي تأوّلناه في "مثل"»[٤].

توجيه القراءة :

اختلف في توجيه القراءة على أقوال :

الأول: أن « مثل الجنة» مبتدأ والخبر محذوف ، والمعنى : مما يُقَصُّ عليكم مثل الجنة.

إليه ذهب سيبويه [٥]، ووافقه أبو البقاء العكبري[٦] ، والسمين الحلبي[٧].

---

(١) سورة الرعد : من الآية ٣٥ .

(٢) سبق تخريج القراءة .

(٣) سبق تخريج القراءة .

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٨٣– ٨٤ .

(٥) ينظر: الكتاب ١٤٣/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٤٩/٣ .

(٦) التبيان في إعراب القرآن ٦٥/٢ .

(٧) الدر المصون ٥٨/٧ .

وصححه أبو علي الفارسي[١]، وهو أول أوجه أوردها الفخر الرازي[٢].

الثاني: أن « مثل الجنة» مبتدأ والخبر « تجري من تحتها الأنهار» أي: صفة الجنة. وإليه ذهب الفراء[٣]، وهو ثالث أوجه أوردها الفخر الرازي[٤].

واعترض أبو البقاء على هذا قائلًا : « وهذا عند البصريين خطأ؛ لأن المثل لا تجري من تحته الأنهار، وإنما هو من صفة المضاف إليه» [٥].

الثالث: أن « مثل الجنة» مبتدأ ، و« تجري من تحتها الأنهار» خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هي. أجازه الفراء[٦].

وجنح الزجاج نحو هذا فقال: «والذي عندي – واللَّه أعلم – أن اللَّه عزَّ وجلَّ، عَرفنا أُمُورَ الجنة التي لم نَرَهَا، ولم نُشَاهِدْهَا بما شَاهِدناه مِن أمور الدنيا وعايَنَّاه. فالمعنى " مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ " جَنة " تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا " »[٧].

واعترض عليه أبو علي الفارسي قائلًا: « فليس بمستقيم – أيضًا– ؛ ألا ترى أن المثل لا يخلو من أن يكون الصفة ، كما قال : إن ذلك حسن جميل ، أو يكون من معنى المشابهة والشبه كما قلنا في كلا القولين . لا يصح ما قال لو قلتَ: صفة الجنة جنة ، فجعلت الجنة خبراً لم يصح ؛ لأنها لا تكون الصفة ، وكذلك لو قلت : شبه الجنة جنة ؛ ألا ترى أن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين ، وهو حدث ، والجنة غير حدث ، وإذا كان كذلك فالأول – أيضاً – لا يكون الثاني »[٨].

---

(١) الإغفال ٣٥١/٢ .

(٢) التفسير الكبير ٦٠/١٩ .

(٣) معاني القرآن ٦٥/٢ .

(٤) التفسير الكبير ٦٠/١٩ .

(٥) التبيان ٦٥/٢ . وينظر: البحر المحيط ٣٨٦/٥ .

(٦) معاني القرآن ٦٥/٢.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٥٠/٣ .

(٨) الإغفال ٣٥١/٢ .

الرابع : ذهب قوم إلى زيادة «مثل» وأن التقدير: الجنة التي وعد المتقون تجري[١].

واعترضه الفارسي قائلًا: « كونه لغوًا والحكم عليه بهذا فاسد غير سائغ؛ لأنه لا دلالة عليه ولا شاهد له»[٢].

الخامس: أن الخبر هو قوله تعالى : « أُكُلُهَا دَائِمٌ » كأنه قال: مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار كما تعلمون من حال جناتكم إلا أن هذه أكلها دائم.

وهو رابع أوجه أوردها الفخر الرازي [٣].

هذا . وتجدر الإشارة إلى أن الزمخشري قال:« « مثل الجنة» صفتها التي هي في غرابة المثل» وأورد أقوال العلماء ثم قال: « وقرأ علي – رضي الله عنه– :« أمثال الجنة» على الجمع ، أي: صفاتها»[٤].

قال السمين : « والجمهور على أن المثل هنا بمعنى الصفة»[٥].

واعترض المبرد على من قال معناه : صفة الجنة، فقال: « ومن قال: إن معناه : صفة الجنة فقد أخطأ؛ لأن «مثل» لا يوضع في موضع صفة ... إنما المثل مأخوذ من المثال والحذو ، والصفة تحلية ونعت »[٦].

كما اعترض على ذلك الفارسي – أيضًا– فقال: « اعلم أن قول من قال : معنى « مثل الجنة» صفة الجنة. غير مستقيم عندنا ، ودلالة اللغة ترد قولهم

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٣١٥/٣ .

(٢) الإغفال ٣٤٨/٢ ، وينظر: المحرر الوجيز ٣١٥/٣ ، والبحر المحيط ٣٨٦/٥ .

(٣) التفسير الكبير ٦٠/١٩ .

(٤) الكشاف ٣٥٥/٣ ، وينظر المحرر الوجيز ٣١٥/٣ ، والبحر المحيط ٣٨٦/٥.

(٥) الدر المصون ٥٩/٧ .

(٦) المقتضب ٢٢٥/٣ ت د/ محمد عبد الخالق عضيمة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– القاهرة – ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م .

وتدفعه، ولا يقدرون أن يوجدونا أن معنى " مَثَل " في اللغة صفة إنما معنى المَثَل الشَّبَه ...» [١].

ولكن يرد عليه ، ما قاله الجوهري : « ومثل الشيء – أيضًا– صفته»[٢].

وأجاب الفارسي على نحو هذا ، فقال : " فإن قال قائل: فقد قال : إن معنى "مثل" هذه الصفة قوم من رواة اللغة ، ومن إذا حكى شيئًا لزم قبوله .

قلنا الذين قالوه غير مدفوعي القول إذا قالوه رواية ، ولم يقولوه من جهة النظر والاستدلال ، وقولهم : " مثل الجنة " معناه : صفة الجنة ، لم يروه رواية ، وإنما قالوه متأولين ... ولا يستقيم – أيضًا – قولهم من جهة المعنى ؛ ألا ترى أن مثلاً إذا كان معناه صفة كان تقدير الكلام على قولهم : صفة الجنة أنهار . وهذا قول غير مستقيم ؛ لأن الأنهار في الجنة نفسها لا صفتها "[٣].

وبعد: فقد ظهر من خلال ما سبق أن ابن قتيبة قد أورد أن " مَثَل " الأصل فيه أن يكون بمعنى شَبَه ، وأن " مَثَل " قد يأتي بمعنى صفة ، وحمل على ذلك قراءة الجمهور ، وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء .

وقد ظهر –أيضًا– أن القراءة لها أكثر من توجيه إعرابي.

وقد استشهد ابن قتيبة بالقراءة الأخرى ؛ ليؤكد على المعنى الذي ارتآه في قراءة الجمهور. ولكن يؤخذ عليه ذهابه إلى أن القراءة الشاذة أوضح في المعنى من القراءة المتواترة .

والله – تعالى – أعلم

---

(١) الإغفال ٣٤٣/٢ .

(٢) الصحاح ١٨١٦/٥ [مثل] ت/ أحمد عبد الغفور عطار– دار العلم للملايين – بيروت– ط: الرابعة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م ، وينظر: لسان العرب ٤١٣٣/٦ [مثل].

(٣) الإغفال ٢/ ٣٤٤– ٣٤٥ .

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴾[١]

أورد ابن قتيبة قراءة الأعمش :" وما أنتم بمصرخيِّ " – بكسر الياء المشددة – في صدد اتهامه لبعض القراء بالغلط والوهم ، فقال: «وقرأ الأعمش: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ﴾ بكسر الياء، كأنه ظن أن الباء تخفض الحرف كله، واتّبعه على ذلك حمزة»[٢].

توجيه القراءة :

اختلف في توجيه القراءة على أقوال :

الأول: أنها لغة .

وإليه ذهب الفارسي وزاد قائلًا: « ووجه ذلك من القياس: أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع نصب أو جر، فالياء في النصب والجر كالهاء فيهما، وكالكاف في: أكبر منك ، وهذا لك، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة، ولحق الكاف – أيضًا – الزيادة ،

كذلك ألحقوا الياء الزيادة من المد فقالوا: فيِيٌّ ثم حذفت الياء الزائدة على الياء فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة»[٣].

ووافقه أبو حيان [٤]، وهو ثاني وجهين ذكرهما أبو البقاء العكبري مع تضعيفه للقراءة[٥]، وهو ثاني أوجه أوردها السمين[٦].

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ٢٢ . وقرأ الأعمش : :" وما أنتم بمصرخيِّ " – بكسر الياء المشددة – وسبق تخريجها .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٦٢ .

(٣) الحجة ٢٩/٥ – ٣٠ باختصار .

(٤) البحر المحيط ٤٠٩/٥ . وينظر: الدر المصون ٨٨/٧ .

(٥) التبيان ٦٨/٢ .

(٦) الدر المصون ٨٩/٧ . وينظر: المحرر الوجيز ٣٣٤/٣ .

الثاني: أن الكسر على أصل التقاء الساكنين، وذلك أن ياء الإعراب ساكنة وياء المتكلم أصلها السكون.

أجاز الفراء هذا الوجه – مع تضعيفه القراءة – ، فقال: «ولعلها من وَهْم القراء طبقة يَحْيَى ... وقد سمعت بعض العرب يُنشد:

قَالَ لَهَا هَلْ لك يا تا فيِّ قالت لَهُ مَا أنتَ بالمرضِيّ[1]

فخفض الياء من (فِيّ) فإن يك ذَلِكَ صحيحًا فهو مِمَّا يلتقي من الساكنين فيُخفض الآخر منهما، وإن كَانَ لَهُ أصل فِي الفتح»[2].

وإلى هذا الوجه ذهب ابن خالويه[3] وابن جني[4]، وهو أحد أوجه أوردها السمين الحلبي[5]، وأحد وجهين أوردهما أبو البقاء مع تضعيفه للقراءة»[6].

واعترض الزمخشري قائلًا: « ولكنه غير صحيح؛ لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة ؛ حيث قبلها ألف في نحو عصايَ فما بالها وقبلها ياء؟!.

فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح؛ لأجل الإدغام، فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن، فحرّكت بالكسر على الأصل.

---

(١) من الرجز، وقائله الأغلب العجلي شاعر جاهلي إسلامي. في خزانة الأدب ٤٣١/٤، وبلا نسبة في المحتسب ٤٩/٢ برواية فيِّ.

الشاهد في قوله : فيِّ . حيث كسر الياء لالتقاء الساكنين.

(٢) معاني القرآن ٧٥/٢-٧٦.

(٣) الحجة في القراءات السبع ص٢٠٣ ، ت د/ عبد العال سالم مكرم – دار الشروق– ط الثالثة ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م .

(٤) المحتسب ٤٩/٢.

(٥) الدر المصون ٨٩/٧ .

(٦) التبيان ٦٨/٢ .

قلت: هذا قياس حسن، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات»[١].

الثالث: أن الكسر للإتباع لما بعدها، وهو كسر الهمز من « إِنِّي».

وهو ثالث أوجه أوردها السمين وضعفه قائلًا: « وهو ضعيف جدًا»[٢].

الرابع: أن الياء لما أدغمت فيها التي قبلها قويت بالإدغام، فأشبهت الحروف الصحاح فاحتملت الكسر؛ لأنه إنما يستثقل فيها إذا خَفَّت وانكسر ما قبلها، ألا ترى أن حركات الإعراب تجري على المشدد، وما ذاك إلا لإلحاقه بالحروف الصحاح. وهو رابع أوجه أوردها السمين الحلبي[٣].

هذا. وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى ردِّ أو تضعيف هذه القراءة:

قال الفراء : « ولعلها من وهم القراء ... ولعله ظَنَّ أن الباء فِي (بِمصرخي) خافضة للحرف كله، والياء من المتكلم خارجة من ذَلِكَ »[٤].

وقال الأخفش: « وهذا لحن ؛ لم نسمع بها من أحد من العرب ولا أهل النحو»[٥].

وقال الزجاج: « وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف ... وهذْا الشعر[٦] مما لا يلتفت إليه، وعَمَل مثلِ هذا سهلٌ،

(١) الكشاف ٣٧٦/٣ .

(٢) الدر المصون ٩٥/٧ .

(٣) السابق ٩٥/٧ .

(٤) معاني القرآن ٧٥/٢ .

(٥) معاني القرآن ٤٠٧/٢ للأخفش ت٢١٥هـ ت د/هدى محمود قراعة – مكتبة الخانجي بالقاهرة– ط الأولى ١٤١١هـ– ١٩٩٠م .

(٦) يقصد الرجز السابق .

وليس يعرف قائل هذا الشِعرِ من العرب، ولا هو مما يحتج به في كتاب الله – عزَّ وجلَّ– »[1].

وقال أبو جعفر النحاس: « فقد صار هذا بإجماع لا يجوز وإن كان الفراء قد نقض هذا وأنشد:

قَـالَ لَهَـا هَـلْ لـك يـا تـا فيـيِّ قالـت لَـهُ مَـا أنـتَ بالمرضِـيّ

ولا ينبغي أن يحمل كتاب الله – جلّ وعزّ– على الشّذوذ »[2].

وقال الزمخشري: « هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول»[3].

وأقول : ليس الدافع لهؤلاء العلماء الهجوم على كتاب الله – تعالى– بل هو زيادة حرصهم على كتاب الله – تعالى– ولكن جانبهم الصواب في رد أو تضعيف هذه القراءة.

ويجاب على هؤلاء بما يأتي:

أولًا: هذه قراءة متواترة صحيحة واتهام الفراء للقارئ ليس في موضعه فالقارئ لا يتبع هواه في القراءة حتى يظن أو لا يظن، بل يعلم أن القراءة سنة متبعة .

ثانيًا: أن من قال أن هذه لحن أو لم يقل به أحد من العرب ولا أهل النحو، أو أن هذا الشعر مما لا يلتفت إليه.

أجاب الفارسي ، فقال: « فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة وإن كان غيرها أفشى منها، وعضده من القياس ما ذكرنا ؛ لم يجز لقائل أن يقول

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٣ – ١٦٠ .

(٢) إعراب القرآن ٣٦٨/٢ – ٣٦٩ . وينظر : التفسير الكبير ١١٦/١٩– ١١٧.

(٣) الكشاف ٣٧٦/٣ .

: إن القراءة بذلك لحن لاستفاضة ذلك في السماع والقياس، وما كان كذلك لا يكون لحنًا»[١].

ثالثًا: أن الهجوم على البيت بأنه لمجهول.

فهو هجوم في غير موضعه ؛ لأنه للأغلب العجلي، وهو شاعر مخضرم[٢].

وانتصر أبو حيان لهذه القراءة ، فقال: «وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ ذَكَرْنَا مِنَ النُّحَاةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ. وَاقْتَفَى آثَارَهُمْ فِيهَا الْخَلَفُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِيهَا: إِنَّهَا خَطَأٌ، أَوْ قَبِيحَةٌ، أَوْ رَدِيئَةٌ. وَقَدْ نَقَلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَة أَنَّهَا لُغَةٌ، لَكِنَّهُ قَلَّ اسْتِعْمَالُهَا. وَنَصَّ قُطْرُبٌ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ فِي بَنِي يَرْبُوعٍ. وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ وَهُوَ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّحْوِيِّينَ الْكُوفِيِّينَ: هِيَ صَوَابٌ، وَسَأَلَ حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ أَبَا عَمْرِو بْنَ الْعَلَاءِ وَذَكَرَ تَلْحِينَ أَهْلِ النَّحْوِ فَقَالَ: هِيَ جَائِزَةٌ ... فَأَبُو عَمْرٍو إِمَامُ لُغَةٍ، وَإِمَامُ نَحْوٍ، وَإِمَامُ قِرَاءَةٍ، وَعَرَبِيٌّ صَرِيحٌ، وَقَدْ أَجَازَهَا وَحَسَّنَهَا»[٣].

وبعد. فقد ظهر أن ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– قد وافق الفراء في رد القراءة، كما ظهر – أيضًا– أن القراءة صحيحة متواترة ، ولها وجه صحيح في العربية، ومن ثم فالفراء وابن قتيبة ومن وافقهما في رد القراءة أو ذهب إلى تضعيفها قد جانبهم الصواب.

والله – تعالى – أعلم

(١) الحجة ٣٠/٥ . وينظر : الدر المصون ٩٣/٧ .

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤٠٩/٥ ، وخزانة الأدب ٤٣١/٤ .

(٣) البحر المحيط٤٠٩/٥ . وينظر: الدر المصون ٨٩/٧.

قوله تعالى : ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾[١]

قال ابن قتيبة – في صدد حديثه عن دفع التناقض في القرآن الكريم– : « ... وهذا نحو قوله: « سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ» و « سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرٍ آنٍ» قراءة عكرمة[٢] ومن تابعه .

والقَطْر: النحاس . والآن: الذي قد بلغ منتهى حرّه. كأن قومًا يسربلون هذا وقومًا يسربلون هذا، ويُلْبَسون هذا تارة، وهذا تارة»[٣].

توجيه قراءة قَطِران :

اختلف في توجيه القراءة :

القول الأول : القطران : ما يستخرج من شجر فيطبخ وتطلى به الإبل الجُرُب ليذهب جربه بحدته، وهو أفضل الأشياء للاشتعال.

وإليه ذهب الطبري[٤]، والزمخشري[٥]، وابن عطية[٦]، والفخر الرازي[٧]، والسمين الحلبي[٨].

القول الثاني: القطران : النحاس.

قاله ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما– ، ومجاهد، وقتادة[٩].

---

(١) سورة إبراهيم : من الآية ٥٠ .

(٢) سبق تخريج القراءة .

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٦٩ .

(٤) تفسير الطبري ٧٤٢/١٣ . وينظر: معاني القرآن للنحاس ٥٤٦/٣.

(٥) الكشاف ٣٩٤/٣ .

(٦) المحرر الوجيز ٣٤٨/٣ .

(٧) التفسير الكبير ١٥٢/١٩ .

(٨) الدر المصون ١٣٢/٧. وينظر: لسان العرب ٣٦٦٩/٥ [قطر] ، ٤٧٠٨/٦ [هنأ].

(٩) تفسير الطبري ٧٤٣/١٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥٤٦/٣ .

توجيه قراءة : قَطْرٍ آنٍ :

معنى : القطر : النحاس ، ومعنى « آنٍ» : الذي قد انتهى حرُّه في الشدة(١).

وبعد . فقد ظهر مما سبق أن القراءة جاءت لتتم صورة هؤلاء القوم ، فمنهم من يُسربل هذا ، ومنهم من يُسربل ذاك، ويُلبسون هذا تارة ، وهذا تارة ، فجاءت القراءة لتثري المعنى .

وهذا يوضح حسن تناول ابن قتيبة لهذه القراءة ، كما يبين دقة فهمه للقرآن الكريم.

والله – تعالى – أعلم

(١) ينظر: تفسير الطبري ٧٤٤/١٣ ، والكشاف ٣٩٥/٣ ، والمحرر الوجيز ٣٤٨/٣ ، والتفسير الكبير ١٥٢/١٩ ، والتبيان في إعراب القرآن ٧١/٢ .

قوله تعالى : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونِ ﴾[١] بكسر النون وتخفيفها[٢]

أورد ابن قتيبة هذه القراءة في صدد اتهامه بعض القراء بالغلط والوهم، فقال: «وقرأ نافع «فبم تبشرونِ» بكسر النون ، ولو أريد بها الوجه الذي ذهب إليه ، لكانت : [فبم تبشروننني] بنونين ؛ لأنها في موضع رفع» [٣].

توجيه القراءة :

اختلف في توجيه القراءة :

القول الأول : أن الأصل : تبشرونِّ . فحذفت النون الثانية وهي نون الوقاية لثقل التضعيف. إليه ذهب الفراء[٤] .

ونسب أبو جعفر النحاس هذا القول لسيبويه[٥]. ولكن بالرجوع إلى كتاب سيبويه تبين أنه يرى أن النون المحذوفة هي نون الرفع وليست نون الوقاية[٦] .

الثاني: أن الأصل : « تبشروننني» ، فاستثقل النونان، فحذفت النون الثانية وكسرت نون الرفع للياء، ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها.

وإليه ذهب أبو علي الفارسي[٧]، وابن عطية[٨] .

الثالث : أن الأصل ((تبشرونِّ) – بتشديد النون وكسرها – ، وحذفت النون الأولى ، وهي نون الجمع . وإليه ذهب الزمخشري[٩] .

---

(١) سورة الحجر : من الآية ٥٤ .

(٢) سبق تخريج القراءة .

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٦٣ .

(٤) معاني القرآن ٢/٩٠ .

(٥) إعراب القرآن ٢/٣٨٣.

(٦) ينظر: الكتاب ٣/٥١٩- ٥٢٠ .

(٧) الحجة ٥/٤٥ . وينظر: البحر المحيط ٥/٤٤٧ .

(٨) المحرر الوجيز ٣/٣٦٥. وينظر: الدر المصون ٥/١٦ وما بعدها، ٧/١٦٥.

(٩) الكشاف ٣/٤٠٩ وينظر : التفسير الكبير : ١٩ /٢٠١ .

وأجاز الزجاج وابن خالويه حذف واحدة منهما [١].

هذا وقد اعترض بعض العلماء على هذه القراءة، فقد «حكى عن أبي عمرو بن العلاء –رحمه الله تعالى– أنه قال: كسر النون لحن»[٢].

« وغلط أبو حاتم نافعًا في هذه القراءة ، وقال: إن شاهد الشعر في هذا اضطرار »[٣].

وقال مكي القيسي: « وهذه القراءة قد طعن فيها جماعة ؛ لبعد مخرجها في العربية ؛ لأن حذف النون مع الياء لا يحسن إلا في شعر ، وإن قدرت حذف النون الأولى حذفت علم الرفع ، لغير جازم ولا ناصب ، ولأن كسر نون التي هي علم الرفع قبيح»[٤].

وقال مكي – معترضًا على حذف نون الوقاية –: « وحذف هذه النون في العربية قبيح مكروه ، إنما يجوز في الشعر؛ لضرورة الوزن ، والقرآن لا يحمل على ذلك »[٥].

وأجاب السمين على من طعن في القراءة ، فقال: « وهذا الطعن لا يلتفت إليه»[٦].

وبعد. فقد ظهر مما سبق أن القراءة متواترة ، ولها توجيه صحيح في العربية ، فلا وجه لابن قتيبة ومن وافقه في الطعن على هذه القراءة ، فقد جانبهم الصواب.

والله – تعالى– أعلم

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٨١/٣، والحجة في القراءات السبع ص٢٠٦ .
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٨٣/٢ .
(٣) المحرر الوجيز ٣٦٥/٣ .
(٤) الكشف عن وجه القراءات السبع ٣١/٢ . ت.د/ محيي الدين رمضان – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م .
(٥) السابق ٤٣٧/١ .
(٦) الدر المصون ١٦٦/٧ . وينظر: ١٨/٥– ١٩ من الكتاب نفسه ، والمحرر الوجيز ٣٦٥/٣ ، والتفسير الكبير ٢٠١/١٩ .

قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[1]

أورد ابن قتيبة قراءة : « فخاف ربك»[2] ليبين أن (خشى وخاف) تأتيان بمعنى علم، فقال: «و (خشيت) بمعنى: (علمت) . قال عز وجل: ﴿فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً﴾ ، أي: علمنا. وفي قراءة أبيّ: «فخاف ربك». ومثله: ﴿إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ الله﴾[3]. وقوله: ﴿فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً﴾[4]، أي علم . وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ﴾[5]؛ لأنّ في الخشية والمخافة طرفا من العلم»[6].

توجيه قراءة « فخشينا أن يرهقهما» :

اختلف في توجيهها :

القول الأول: أن « فخشينا » بمعنى : فعلمنا .

إليه ذهب الفراء[7]، والطبري[8] .

قال الفراء : « وقوله: « فَخَشِينا »: فعلمنا. وهي فِي قراءة أُبَيّ : (فخافَ ربُّك أن يرهقهما) عَلَى معنى: علم ربُّكَ. وهو مثل قوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَخافا﴾ قَالَ: إلا أن يعلما ويظنّا. والخوفُ والظن يُذهب بِهما مذهب العلم»[9].

(١) سورة الكهف من الآية ٨٠ .

(٢) سبق تخريج القراءة .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٢٩ .

(٤) سورة البقرة من الآية ١٨٢ .

(٥) سورة الأنعام من الآية ٥١ .

(٦) تأويل مشكل القرآن ص١٩٠- ١٩١ .

(٧) معاني القرآن ١٥٧/٢ .

(٨) تفسير الطبري ٣٥٦/١٥ .

(٩) معاني القرآن ١٥٧/٢ .

الثاني : أن المعنى : فكرهنا . إليه ذهب الأخفش[١]، وأجازه الزجاج[٢] .

فال الأخفش : «فمعناه: كَرِهنا؛ لأنَّ اللهَ لا يَخْشى. وهو في بعض القراءات : " فَخَافَ رَبُّكَ " وهو مثل : خِفْتُ الرَّجُلَيْنِ أَنْ يَقُولا. وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما»[٣] .

الثالث: أنه من كلام الخضر ، أي: فخفنا .

وإليه ذهب الزجاج[٤] ، والزمخشري[٥] ، والفخر الرازي [٦].

الرابع : أن الضمير للخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الأمر وتكلموا فيه. وإليه ذهب ابن عطية[٧]، واستظهره أبو حيان[٨].

الخامس: هو ما استظهره ابن عطية قائلًا: «والأظهر عندي في توجيه هذا التأويل، وإن كان اللفظ يدافعه، أنها استعارة، أي : على ظن المخلوقين والمخاطبين، لو علموا حاله لوقع منهم خشية الرهق للأبوين»[٩] .

توجيه قراءة : « فخاف ربك» :

اختلف في توجيهها :

الأول: بمعنى : فعلم . وإليه ذهب الفراء[١٠] .

---

(١) معاني القرآن ٤٣٢/٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٥/٣ .

(٣) معاني القرآن ٤٣٢/٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٥/٣ .

(٥) الكشاف ٦٠٧/٣ .

(٦) التفسير الكبير ١٦٢/٢١ .

(٧) المحرر الوجيز ٥٣٦/٣ .

(٨) البحر المحيط ١٤٦/٦ .

(٩) المحرر الوجيز ٥٣٦/٣ .

(١٠) معاني القرآن ١٥٧/٢ .

الثاني: بمعنى : فكره . وإليه ذهب الأخفش[١] .

ووافقه الزمخشري، فقال: « والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره»[٢].

الثالث: ما قاله ابن عطية: « وهذا بين في الاستعارة وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله – تعالى– من لعل وعسى. فإن جميع ما في هذا كله، من ترجٍ وتوقع، وخوف، وخشية، إنما هو بحسبكم أيها المخاطبون»[٣].

وبعد . فقد ظهر مما سبق اختلاف العلماء حول توجيه القراءتين ، وما ذهب إليه ابن قتيبة – رحمه الله تعالى– تحتمله القراءتان، وقد ظهر تأثر ابن قتيبة بما قاله الفراء.

والله – تعالى – أعلم

(١) معاني القرآن ٤٣٢/٢ .

(٢) الكشاف ٦٠٧/٣ .

(٣) المحرر الوجيز ٥٣٦/٣.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

أورد ابن قتيبة هذه القراءة في صدد رده على من ادعى أن في القرآن الكريم لحنًا، فقال: «ومن ذلك قوله –في سورة الأنبياء–: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ كتبت في المصاحف بنون واحدة، وقرأها القُرَّاء جميعًا «ننجي»[٢] بنونين إلا عاصم بن أبي النّجود فإنه كان يقرؤها بنون واحدة، ويخالف القرّاء جميعا، ويرسل الياء فيها على مثال (فُعِلْ) .

فأما من قرأها بنونين، وخالف الكتاب، فإنه اعتل بأن النون تخفى عند الجيم، فأسقطها كاتب المصحف لخفائها، ونيّته إثباتها.

واعتلّ بعض النحويين لعاصم فقالوا: أضمر المصدر، كأنه قال: نجِّي النجاء المؤمنين، كما تقول: ضُرب الضرب زيدًا، ثم تضمر الضّرب، فتقول: ضُرِبَ زيدًا.

وكان أبو عبيد يختار في هذا الحرف مذهب عاصم كراهية أن يخالف الكتاب، ويستشهد عليه حرفا في سورة الجاثية، كان يقرأ به أبو جعفر المدني ، وهو قوله: ﴿لِيُجْزَيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣] أي: ليجزى الجزاء قومًا.

---

(١) سورة الأنبياء من الآية ٨٨ .

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم – في رواية أبي بكر – «نُجِّي» بنون واحدة ، والجيم مشددة على ما لم يسم فاعله والياء ساكنة، وروى حفص عن عاصم : «نُنْجى المؤمنين» بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة والجيم خفيفة. وكذلك قرأ حمزة والباقون. ينظر: السبعة ص٤٣٠ ، وتفسير القرطبي ٢٧٦/١٤.

(٣) سورة الجاثية من الآية ١٤.

وأنشدني بعض النحويين:

ولــو ولــدت فُقَيْــرةُ جَــرْوَ كلــبٍ لسُـــبّ بـــذلك الجـــروِ الكلابـــا[1]»[2]

توجيه قراءة « نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» :

اختلف في توجيهها :

القول الأول: أن النون الأولى متحركة والثانية ساكنة، فلا تظهر الساكنة على اللسان؛ لأنها تخفى مع الجيم، فلما خفيت حذفت.

إليه ذهب الفراء[3]، والزجاج[4]، وابن خالويه[5].

القول الثاني: حذفت النون من الخط كراهة لاجتماع صورتين متفقتين.

وإليه ذهب الفارسي[6].

القول الثالث: جمع بين القولين السابقين .

وإليه ذهب مكي القيسي[7] ، وصوَّب اختيار ابن قتيبة لهذه القراءة[8].

توجيه قراءة « نُجِّي المؤمنين » :

اختلف في توجيه هذه القراءة :

القول الأول: أن « نُجِّي» فعل ما لم يسم فاعله، وناب عن الفاعل المصدر، أي: وكذلك نُجِّي النجاءُ المؤمنين.

---

(١) البيت من الوافر وهو لجرير في : خزانة الأدب ٣٣٧/١. وليس في ديوانه .
الشاهد في قوله: لسُب بذلك الجرو الكلابا : حيث أناب غير المفعول مع وجوده .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٥٤- ٥٦ .

(٣) معاني القرآن ٢١٠/٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٣/٣ .

(٥) الحجة في القراءات السبع ص٢٥٠ .

(٦) الحجة ٢٦٠/٥ .

(٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١١٣/٢ .

(٨) السابق ١١٤/٢ .

وإليه ذهب الفراء[١]، ووافقه ابن خالويه قائلًا: « وأرسل الياء بغير حركة؛ لأن الحركة لا تدخل عليها في الرفع وهي ساقطة في الجزم إذا دخلت في المضارع»[٢].

وهو ثاني أوجه أوردها السمين ، وقال: « وإنما سكنت لامه تخفيفًا»[٣].

واعترض الزجاج على هذا الوجه، قائلًا: « وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم، لا يجوز ضُرب زيدًا، تريد ضُرِبَ الضربُ زيدًا ؛ لأنك إذا قلت: ضرب زيدٌ فقد علم أن الذي ضُرِبه ضرب فلا فائدة في إضماره وإقامته مع الفاعل »[٤].

وقال الفارسي: « ذلك مما يجوز في ضرورة الشعر والبيت الذي أنشد لا يكون حجة في هذه القراءة»[٥].

وزاد مكي فقال: « والوجه الثاني: أنه كان يحب أن تفتح الياء من : « نُجِّي»؛ لأنه فعل ماضٍ»[٦].

القول الثاني: أنها « ننجي» فلما أخفى عاصم ظن السامع أنه مدغم، فحسب الراوي الإخفاء إدغامًا .وإليه ذهب أبو علي الفارسي[٧].

واعترض مكي قائلًا: « وهذا – أيضًا– بعيد ؛ لأنه الرواية بتشديد الجيم، والإخفاء لا يكون معه تشديد»[٨].

---

(١) معاني القرآن ٢/٢١٠ .

(٢) الكشف ص٢٥٠ .

(٣) الدر المصون ٨/١٩٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٠٣ .

(٥) الحجة ٥/٢٦٠ باختصار يسير . وينظر: الكشاف ٤/١٦٢ .

(٦) الكشف ٢/١١٣ . وينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/١٣٦.

(٧) الحجة ٥/٢٥٩ .

(٨) الكشف ٢/١١٣ .

الثالث: أن الأصل نُنْجِي ، وأدغمت النون الساكنة في الجيم.

نسب إلى أبي عبيد [١].

واعترض عليه أبو جعفر النحاس ، فقال: « لا يجوز عند أحد من النحويين علمناه لبعد النون من الجيم فلا تدغم فيها»[٢] .

الرابع: أن الأصل « نُنَجِّي» بضم الأولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فحذفت الثانية تخفيفًا لتوالي المثلين .

وإليه ذهب على بن سليمان[٣] ، وابن جني[٤]، واستحسنه أبو جعفر النحاس [٥]، والسمين الحلبي[٦].

وضعفه أبو البقاء العكبري بوجهين ، فقال: « أحدهما أن الثانية أصل وهي فاء الكلمة ، فحذفها يبعد جدًا. والثاني: أن حركتها غير حركة النون الأولى فلا يستثقل الجمع بينهما»[٧].

وأجاب السمين: « أما كون الثانية أصلًا فلا أثر له في منع الحذف، وأما اختلاف الحركة فلا أثر له – أيضًا – لأن الاستثقال باتحاد لفظ الحرفين على أي حركة كانا»[٨].

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/٧٨ .

(٢) إعراب القرآن ٣/٧٨ ، وينظر: الكشف ٢/١١٣، والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٣٦، والدر المصون ٨/١٩٣.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/٧٨ .

(٤) الخصائص ١/٣٩٨ ت. أ / محمد علي النجار – دار الكتب المصرية – دون تاريخ .

(٥) إعراب القرآن ٣/٧٨.

(٦) الدر المصون ٨/١٩١ .

(٧) التبيان ٢/١٣٦.

(٨) الدر المصون ٨/١٩٢.

الخامس: أن الفعل المبني للمجهول مسند إلى ضمير المصدر أي: نُجِّي النجاء ، إلا أن «المؤمنين» ليس منصوبًا بـ « نُجِّي» بل بفعل مقدر.

وهو رابع أوجه أوردها السمين الحلبي[١].

هذا. وقد لحن هذه القراءة الزجاج ، فقال: « فلحن لا وجه له»[٢].

وأجابه السمين ، فقال: « وهذه القراءة متواترة، ولا التفات إلى من طعن على قارئها»[٣].

وبعد. فقد ظهر أن القراءتين متواترتان ، ولهما أكثر من توجيه في العربية، ومن ثم فلا يصح الطعن في أي منهما.

وقد ظهر – أيضًا– أن ابن قتيبة – رحمه الله تعالى – موفق في رده على من ادعى أن في القرآن الكريم لحنًا، وقد وجه القراءتين بما يخرجهما من دائرة اللحن.

وأما اعتلالهم لحذف النون بما قالوه ، فيجاب عليهم بأن خط المصحف له خاصيته ، فخطان لا يقاس عليهما : خط المصحف والخط العروضي .

والله – تعالى – أعلم .

(١) السابق ١٩٣/٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٣/٣.

(٣) الدر المصون ١٩٣/٨.

قوله تعالى : ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[1]

قال ابن قتيبة – متحدثًا عما يحذف من الكلمة – : « ويحذفون في الترخيم، فيقولون: يا صاحِ، يريدون: يا صاحب، ويا حارِ، يريدون: يا حارث.

وقرأ بعض المتقدمين: « وَنادَوْا يا مالِ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾[2] ، أي: يا مالك»[3].

توجيه القراءة :

ذهب العلماء إلى أن حذف الكاف للترخيم[4] .

« قيل لابن عباس – رضي الله تعالى عنهما–: إن ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه– قرأ: «ونادوا يا مالِ»، فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم»[5].

قال الزمخشري: « وعن بعضهم: حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه»[6].

هذا، ولم يرتض الزجاج هذه القراءة ، فقال: « وهو كثير في الشعر في مالك وعامر ، ولكنني أكرهُهما لمخالفتهما المصحف»[7].

---

(١) سورة الزخرف : من الآية ٧٧ .

(٢) قرأ بها النبي – ﷺ– وعلي وابن مسعود – رضي الله تعالى عنهما– . مختصر في شواذ القرآن ص١٣٧ ، ومعجم القراءات القرآنية ١٢٦/٩.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٣٠٦ .

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ٦٤/٥، والكشاف ٤٥٦/٥ ، والتفسير الكبير ٢٢٨/٢٧، والبحر المحيط ٢٧/٨، والدر المصون ٦٠٧/٩ .

(٥) الكشاف ٤٥٦/٥ بتصرف يسير .

(٦) السابق ٤٥٦/٥– ٤٥٧ . وينظر : التفسير الكبير ٢٢٨/٢٧ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٠/٤ .

ولكن يرد عليه أن هذه لغة ، « قال الفراء– في حد الترخيم – : قرأ علي – رضي الله عنه– على المنبر : « ونادوا يا مالِ» فقيل له :« يا مالك ». فقال: تلك لغة وهذه أخرى»[١].

وبعد . فقد ظهر أن هذه القراءة لها وجه صحيح في العربية ، وأما من حاول الاعتراض عليها فقد جانبه الصواب.

كما ظهر حسن استشهاد ابن قتيبة – رحمه الله تعالى – بالقراءة .

والله – تعالى – أعلم

(١) مختصر في شواذ القرآن ص١٣٧ . وينظر : البحر المحيط ٢٧/٨ .

قوله تعالى : ﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ﴾[1]

: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[2]

قال ابن قتيبة – متحدثًا عن (لَمَّا)– : « وتكون بمعنى (إلّا) ، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا ﴾ أي: إلّا متاع الحياة الدنيا، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ﴾ أي : إلّا عليها ، وهي لغة هذيل مع «إن» الخفيفة التي تكون بمعنى (ما) .

ومن قرأ «وَإِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَا مَتاعُ»[3] بالتخفيف ، و«إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْها حافِظٌ»[4] جعل (ما) صلة، وأراد: وإن كلّ ذلك لمتاع الحياة، وإن كلّ نفس لما عليها حافظ»[5].

توجيه قراءة : ﴿ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ ﴾ – " **لَمَّا** " **مشددة** – :

ذهب كثير من العلماء إلى أن « إِنْ» نافية بمعنى (ما) ، و « لَمَّا» بمعنى : (إلا) ، والتقدير: ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا[6].

«وحكي عن الكسائي أنّه قال: لا أعرف وجه التثقيل، وقال أبو الحسن: قال بعضهم: «لمّا» مثقلة، وجعلها في معنى إلّا، وذهب إلى أنّ التخفيف الوجه، قال: لأنّ «لمّا» في معنى (إلّا) لا يكاد يعرف، ولا يكاد يتكلّم بها »[7].

---

(١) سورة الزخرف : من الآية ٣٥ .

(٢) سورة الطارق : الآية ٤ .

(٣) سبق تخريج القراءة .

(٤) سبق تخريج القراءة .

(٥) تأويل مشكل القرآن ص٥٤٢.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤١١/٤، المحرر الوجيز ٥٤/٥ ، والكشاف ٤٣٩/٥ ، والبحر المحيط ١٦/٨.

(٧) الحجة ١٤٩/٦ .

ولكن يرد على هذا ما قاله الفراء : « ونرى أنها لغة فِي هذيل، يجعلون إلّا مَعَ (إنْ) المخففة (لمّا) . ولا يجاوزون ذَلِكَ »[١].

توجيه قراءة :﴿ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾- " لَمَا "مخففة-:

ذهب العلماء إلى أن (إنْ) مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بين (إنْ) المخففة والنافية[٢].

ونصَّ الزجاج[٣] ، وأبو علي الفارسي[٤]، وأبو حيان[٥] على أنَّ «ما» زائدة.

ولكن النفس لا ترتاح إلى القول بالزيادة ، ولعل الصواب : وإن كل ذلك للذي هو متاع الحياة.

توجيه قراءة : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ - لَمَّا مشددة- :

ذهب كثير من العلماء إلى أن « لَمَّا» بمعنى إلَّا ، و" إنْ "نافية ، والمعنى : ما كل نفس إلا عليها حافظ[٦].

توجيه قراءة : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ - لَمَا مخففة - :

ذهب كثير من العلماء إلى أن « إنْ» المخففة من الثقيلة ، واللام هي الفارقة بين «إنْ» المخففة والنافية[٧] .

---

(١) معاني القرآن ٢٥٤/٣ .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤١١/٤، والحجة ١٤٩/٦ ، المحرر الوجيز ٥٤/٥ ، والكشاف ٤٣٩/٥ ، والبحر المحيط ١٦/٨.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤١١/٤ .

(٤) الحجة ١٥٠/٦ .

(٥) البحر المحيط ١٦/٨ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٥٤/٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١١/٥، الحجة للفارسي ٣٩٧/٦، المحرر الوجيز ٤٦٥/٥، والكشاف ٣٥٢/٦ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢٨٥/٢ ، والبحر المحيط ٤٤٩/٨.

(٧) ينظر: المراجع السابقة .

ونص الفراء[١]، والزجاج[٢] ، وأبو علي الفارسي[٣] ، والزمخشري[٤] ، وأبو البقاء العكبري[٥] على أن « مَا» زائدة .

" وقال الكوفيون : " « إنْ » بمعنى : ما النافية ، واللام بمعنى : إلا ، فالتقدير : ما كل نفس إلا عليها حافظ " [٦] ، أي أن ما زائدة عندهم – أيضًا– [٧] .

ولكن النفس لا ترتاح إلى القول بالزيادة .

وبعد . فقد ظهر مما سبق أن ابن قتيبة – رحمه الله تعالى – محق في قوله بمجيء (لمَّا) المشددة بمعنى (إلا) مع (إنْ) النافية وهي لغة هذيل .

وأما قوله بزيادة (ما) فقد قال به غيره – أيضَا– ولكن النفس لا ترتاح إلى هذا ، فكل حرف في القرآن الكريم جاء ليؤدي معنى ، وما دام الأمر كذلك فلا يصح القول بالزيادة .

والله – تعالى – أعلم

(١) معاني القرآن ٢٥٥/٣ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣١١/٥.
(٣) الحجة ٣٩٧/٦ .
(٤) الكشاف ٣٥٢/٦.
(٥) التبيان ٢٨٥/٢ .
(٦) المحرر الوجيز ٤٦٥/٥ .
(٧) ينظر: البحر المحيط ٤٤٨/٨ .

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد .

فقد ظهر من خلال هذا البحث كثير من النتائج المهمة ، منها:

١- وَجَّه ابن قتيبة القراءات التي ادَّعى من خلالها مَنْ زعم وقوع اللحن في القرآن الكريم، فرد عليهم ودحض كيدهم.

٢- كان يفاضل بين التوجيهات ، فيختار ما يراه حسنًا .

٣- استشهد ابن قتيبة ببعض القراءات على التأويل الذي اختاره في قراءة أخرى.

٤- رَدَّ وَجْهَ استشهاد بعض العلماء ببعض القراءات ، وبَيَّن وَجْه الاستشهاد بها.

٥- أورد بعض القراءات لبيان تمام المعنى .

٦- استشهد ببعض القراءات الشاذة .

٧- قد يرى أن القراءة الشاذة أوضح في المعنى من القراءة المتواترة.

٨- اتهم بعض القراء باللحن والغلط والوهم ، وكان متأثرًا في ذلك بالفراء .

٩- اعترض على بعض القراءات القرآنية .

١٠-تم التعقيب على انتقادات د/ محمد الصغير لابن قتيبة ، فتم إنصافه وتبرأته من اتهامات هو منها براء .

١١-رَدَّ ابن قتيبة على الطاعنين في القرآن الكرم باختلاف القراءات القرآنية.

١٢-بَيَّن وجوه الاختلافات في القراءات وحقيقته، كما أوضع فائدة اختلاف القراءات القرآنية .

والله – تعالى- أسأل التوفيق والسداد ، والهداية والكفاية والرشاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله العالمين

المصادر والمراجع

١- الإبانة عن معاني القراءات لمكي القيسي (ت٤٣٧هـ) ت د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي- دار نهضة مصر – دون تاريخ .

٢- الاختلاف بين القراءات لأحمد البيلي – دار الجيل – بيروت – ط الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣- الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني – إياد سالم صالح – جامعة تكريت – كلية التربية – سامراء – دون تاريخ.

٤- إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) ت محمد السيد عزوز- عالم الكتب- دون تاريخ.

٥- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ت د/ زهير غازي زاهد – عالم الكتب- ط الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

٦- الإغفال لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) – تحقيق د/ عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم – أبو ظبي – المجمع الثقافي – دبي- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٧- الاقتراح للإمام السيوطي (ت٩١١هـ) ت / طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الصفا- القاهرة -١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٨- إنباه الرواه على أنباه النحاة للقفطي (ت٦٢٤هـ) ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – ط الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

٩- الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ت٥٧٧هـ – ت د/ جودة مبروك ، مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط الأولى – دون تاريخ .

١٠- الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) – ت د/ حسن شاذلي فرهود – ط الأولى ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م .

١١- البحر المحيط لأبي حيان (ت٧٤٥هـ) ت الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين- دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م .

١٢- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ) – دار الكتب العلمية- بيروت- ت/ مصطفى عبد القادر عطا- ط الأولى ١٤١٧هـ .
١٣- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة – ت السيد صقر – دار التراث – القاهرة – ط الثانية ١٣٩٣- ١٩٧٣م .
١٤- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ت ٦١٦هـ – المكتبة التوفيقية – القاهرة – دون تاريخ.
١٥- تفسير الطبري لابن جرير الطبري ت٣١٠هـ – ت د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر بالقاهرة- ط:الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .
١٦- تفسير الطبري لابن جرير الطبري ت٣١٠هـ- ت/ محمود محمد شاكر- أحمد محمد شاكر- مكتبة ابن تيمية- القاهرة- دون تاريخ .
١٧- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي – دار صادر- بيروت – دون تاريخ.
١٨- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ت٣٧٠هـ – ت د/ عبد العال سالم مكرم – دار الشروق- ط الثالثة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
١٩- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) – ت/ بدر الدين قهوجي – بشير جويجاني- دار المأمون للتراث- بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٢٠- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ت ١٠٩٣- ت/ عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط الرابعة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .
٢١- الخصائص لابن جني ت ٣٩٢هـ – ت أ / محمد علي النجار – دار الكتب المصرية – دون تاريخ .
٢٢- الدر المصون للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ت د/ أحمد محمد الخراط – دار القلم- دمشق- دون تاريخ.

٢٣- ديوان ذو الرمة برواية ثعلب – ت د/ عبد القدوس أبو صالح – مؤسسة الإيمان – بيروت – دون تاريخ .
٢٤- ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري – طبع في مدينة شالون على نهر سون بمطبع برطرند – ١٩٠٠م.
٢٥- السبعة في القراءات لابن مجاهد – ت د/ شوقي ضيف – دار المعارف بمصر – دون تاريخ .
٢٦- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) – ت/ علي أبو زيد – مؤسسة الرسالة – ط الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .
٢٧- شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ت٣٨٥هـ – ت د/محمد الريح هاشم – دار الجيل – بيروت – ط الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .
٢٨- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري – ت/ أحمد عبد الغفور عطا ر– دار العلم للملايين – بيروت– ط الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .
٢٩- صحيح البخاري – تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ .
٣٠- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
٣١- في علوم القراءات د/ السيد رزق الطويل – الفيصلية – مكة المكرمة – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .
٣٢- القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي د محمود أحمد الصغير – دار الفكر المعاصر – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .
٣٣- الكامل للمبرد (ت٢٨٥هـ) – ت د/ محمد أحمد الدالي – مؤسسة الرسالة – دون تاريخ .
٣٤- الكتاب لسيبويه (ت١٨٠هـ) – ت عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي بالقاهرة– ط الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

٣٥- الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ) ت الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين- مكتبة العبيكان – ط الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .
٣٦- الكشف عن وجه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي القيسي (ت٤٣٧هـ) – ت.د/ محيي الدين رمضان – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م .
٣٧- لسان العرب لابن منظور – دار المعارف – القاهرة – دون تاريخ .
٣٨- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ت/ عبد الفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – دون تاريخ .
٣٩- لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني (ت٩٢٣هـ) ت الشيخ/ عامر السيد عثمان- د/ عبد الصبور شاهين – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة – ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م .
٤٠- مجموع الفتاوى لابن تيمية (ت٧٢٨هـ) ت/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م .
٤١- المحتسب لابن جني ت٣٩٢هـ – ت علي النجدي ناصف وآخرين – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة – ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م .
٤٢- المحرر الوجيز لابن عطية ت٥٤٦هـ – ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت- ط الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ .
٤٣- مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه – مكتبة القاهرة – دون تاريخ .
٤٤- مسند إسحاق بن راهويه لابن راهويه (ت٢٣٨هـ) ت د/عبد الغفور عبد الحق البلوشي- مكتبة الإيمان – المدينة المنورة – ط الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .
٤٥- معاني القرآن للأخفش ت٢١٥هـ – ت د/ هدى محمد قراعة – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م .

٤٦- معاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـ) - ت/ أحمد يوسف نجاتي - محمد علي النجار- دار السرور - دون تاريخ .
٤٧- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس- ت الشيخ / محمد علي الصابوني- جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية - ط الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م .
٤٨- معاني القرآن للكسائي (ت١٨٩هـ) - د/عيسى شحاته عيسى - دار قباء بالقاهرة - ١٩٩٨م .
٤٩- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت٣١١هـ) - ت د/ عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب - ط الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
٥٠- معجم القراءات القرآنية د/ أحمد مختار عمر - د/ عبد العال سالم مكرم - مطبوعات جامعة الكويت- ط الثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
٥١- المقتضب للمبرد - ت أ. د/ محمد عبد الخالق عضيمة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة - ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م .
٥٢- موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة - محمد السيد أحمد عزوز - عالم الكتب - ط الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .
٥٣- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) - ت/ إبراهيم السامرائي - مكتبة المنار- الزرقاء - الأردن - ط الثالثة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م .
٥٤- النشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت٨٣٢هـ) - ت / علي محمد الضباع شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية - دون تاريخ .
٥٥- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت٦٨١هـ) - ت/ إحسان عباس- دار صادر بيروت - دون تاريخ .